الْأَثَرُ الْقُرْآنِيُّ فِيْ خُطْبَةِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (عليها السلام)

– مقاربة تفسيريّة –

The Qur’anic Influence in Lady Fatima al-Zahra’s Sermon: An -Interpretive Approach-

أ.د. محمّد كاظم حسين الفتلاويّ

Prof.Dr. Muhammad kazem Hussein Al-Fatlawi

العراق / جامعة الكوفة / كلّيّة التّربية/ قسم القرآن والتربية الإسلامية.

Iraq / University of kufa / College of Education Department of the Qur'an and Islamic Education

mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

الخطبة الشّريفة للسّيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام تمثّل موسوعة معارفَ إسلاميّةٍ بأسلوب ممزوج بالغضب والنّقمة لِمَا أصاب هذه الأمّة من التّقهقر السّريع والشّطط عن الوصيّة النّبويّة، وأنّ هذه المعارفَ الإسلاميّة وظّفتها السّيّدة الزّهراء عليها السلام بما ينسجم وظرف المرحلة، وأنّ هدف البحث هو إيجاد المقاربة القرآنيّة لمضامين الخطبة الشّريفة، مع الاستعانة بآراء المفسّرين في تقريب المعنى لها؛ فكان البحث من مطلبين، المطلب الأوّل عن الأثر القرآنيّ الظّاهر في الخطبة الشّريفة، والمطلب الثّاني عن الأثر القرآنيّ المتضمّن للخطبة الشّريفة، متلوّات بخاتمة وقائمة بالمصادر.

الكلمات المفتاحية: الأثر القرآنيّ – فاطمة الزّهراء – التّفسير – الخطبة الفدكيّة.

Abstract :

In the name of Allah، the Most Gracious، the Most Merciful. Praise be to Allah، Lord of all worlds، and may peace and blessings be upon Muhammad and his purified progeny.

The noble sermon of Lady Fatima al-Zahra (ealayha alsalam) represents a vast compendium of Islamic knowledge، delivered in a style imbued with indignation and grief over the rapid decline of the Muslim community and its deviation from the Prophet's command. Lady Fatima (ealayha alsalam) skillfully employed these Islamic teachings in a manner that aligned with the historical and social circumstances of her time.

The aim of this study is to explore the Qur'anic influence within the sermon's themes by drawing on the interpretations of scholars to provide a deeper understanding of its meanings. The research is divided into two main sections: the first examines the explicit Qur'anic influence in the sermon، while the second investigates the implicit Qur'anic references embedded within it. The study concludes with a summary and a list of sources.

keywords: Qur'anic influence - Fatima Al-Zahra - interpretation - Fadak sermon

المقدّمة:

الخطاب مفتاح شخصيّة المتكلّم والمعبّر عن سِماتها وأفكارها؛ فهو الكاشف عنها وهو المرآة العاكسة لثقافة الخطيب الفكريّة وبراعته الحواريّة وقابليّته التّصويريّة، بوصف الأخير وسيلة الخطيب في تمثيل العواطف والأفكار الّتي تختلج في الصّدور.

وتشكّل نصوص القرآن الكريم مادّة غنيّة للخطباء والأدباء والكُتّاب في مختلف الاتّجاهات والموضوعات؛ لأنّه يمثّل مرجعًا فكريًّا لتداخله مع النّصوص الأدبيّة في علاقات تناصّيّة بوصفه قطب العلوم والمعارف.

إنّ الاستشهاد بالنّصوص الدّينيّة –ولا سيّما القرآنيّة– في الأدب تُعَدّ من أنجع الوسائل؛ وذلك لخاصّيّة ذهنيّة في هذه النّصوص تلتقي وطبيعة الأدب نفسه، وهي ممّا يسعى الذّهن البشريّ إلى حفظه ومداومة تذكّره، فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كلّ العصور تحرص على الإمساك بنصّ إلّا إذا كان دينيًّا أو أدبيًّا.

تُعَدّ ظاهرة استدعاء النّصّ القرآنيّ أو معناه من الظّواهر الفنّيّة البارزة في السّاحة النّهجيّة، الّتي تُؤدّي إلى تَدعيم الخطاب النّهجيّ، وتكثيف دلالته[1]، وبِغضّ النّظر عن المُسمَّيات واختلافها تبقى هذه الأنواع مُنضويةً تحت

مَشروعيّةٍ مُتعارفٍ عليها[٢]؛ والمُتلقّي لخطبة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام يجد نفسَه إزاء هذه الأنواع الاقتباسيّة الّتي تَتَمحور حول (استحضار) مُفردةٍ، أو تركيبٍ، أو آيةٍ، أو بعضٍ منها، أو اكثر، أو استحضارِ لمعانيها، أو مَبانِيها.

فمثّلت الخطبة الشّريفة بهذا أنموذجًا رائدًا في هذا المجال، وقد تناقلت الكتب هذه الخطبة بأسانيدَ معتبرةٍ؛ ففي كتاب بلاغات النّساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور(ت٢٨٠هـ)، ذكر هذه الخطبة؛ إذ وقعت في التّسلسل رقم ٢ من الكتاب، كما نقلها المجلسيّ (ت١١١١هـ) مع شرح مفرداتها وبيان مضامينها[٣]، وذكرها الطّبرسيّ[٤]، وقد نقلها أيضًا أعلام من المعتزلة كابن أبي الحديد[٥]، وكذلك ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)[٦]، وابن منظور الإفريقيّ (ت٧١١هـ)[٧]، وغيرهم ..

والخطبة الشّريفة للسّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام بمضامينها العالية تُعَدّ خطّ الدّفاع الأوّل عن معاني الإسلام الأصيل قبال الانحراف السّلطويّ والفكريّ، وبأسلوب شديد اللهجة مفعم بالغضب والغيظ، على أنّ (النّاظر الخبير يعلم أنّ غيظها وغضبها إنّما كان لاضمحلال الدّين وغصْب الخلافة ونقض أحكام القرآن الكريم ووضع الحديث والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما هو المصرّح به في الخطبة)[٨]، وكذلك تُعَدّ الخطبة الشّريفة مذخرًا لمعارف الدّين وشارحة لها وَفقًا لنهج القرآن الكريم وهدي النّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم .

سبب اختيار موضوع البحث:

١. رغبة الباحث الشّخصية في خدمة القرآن الكريم والعترة الطّاهرة عليهم السلام.

٢. ربط العلاقة ما بين النّصّ القرآنيّ وكلام المعصوم عليه السلام يمثّل العروة الوثقى وجوهر الدّين.

٣. تمثّل خطبة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام معينًا لا ينضب من المعارف، فهي بهذا منهل لكلّ باحث، وفي مجالات علميّة متنوّعة.

أهمّيّة البحث: تكمن أهمّيّة البحث في الحاجة المتجدّدة إلى المعارف الدّينيّة الكامنة في النّصوص المعصومة النّقيّة الّتي لم يشُبْها زيف ولا زيغ، وهذه النّصوص المعصومة تمثّل مرجعًا شاملًا وملبّيًا لتلك الاحتياجات المعرفيّة.

حدود البحث: كان مداره آيات الكتاب العزيز ونصوص من الخطبة الشّريفة للسّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام وأقوال المفسّرين في توجيه الآيات الكريمة.

المنهج العلميّ: اتّبع الباحث المنهج الوصفيّ التّحليليّ؛ فهو المنهج المنسجم مع الدّراسات الإنسانيّة.

دراسات سابقة: هناك كثير من الدّراسات والبحوث الّتي تناولت الأثر

القرآنيّ في كلام السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام، وقد اطّلع الباحث عليها جميعًا – بحسب تتبّعه – ووجد الأقرب منها إلى مجال بحثه؛ هي:

١. التّفاعل النّصّيّ مع القرآن الكريم في خطبة السّيّدة الزّهراء عليها السلام، د.محمد قاسم لعيبي، مجلّة الأستاذ، جامعة بغداد، العدد ٢٠٣، ٢٠١٢م.

٢. التّوظيف القرآنيّ في الخطبة الفدكيّة- عرض وتحليل-، م.م. نور السّاعديّ، مجلّة العقيدة، العتبة العبّاسية المقدّسة، السّنة ٢، العدد ٤، ٢٠١٥م.

٣. آيات الوعيد في خطبة الزّهراء عليها السلام (دراسة تحليليّة)، د. عديّ الحجّار، مجلّة العقيدة، العتبة العبّاسيّة المقدّسة، السّنة الثّالثة – ، العدد ٨، ٢٠١٦م.

٤. أثر القرآن الكريم في خطبة السّيّدة الزّهراء عليها السلام، د. خمائل شاكر الجمالي، مجلّة البضعة، مركز الدّراسات الفاطميّة، البصرة، العدد ٨، ٢٠٢٠م.

٥. الدّلالات الإيحائيّة للآيات القرآنيّة في الخطبة الفدكيّة، د. فردوس هاشم العلويّ، مجلّة العميد، العتبة العبّاسيّة المقدّسة، السّنة ١٠، المجلّد ١٠، العدد ٤٠، ٢٠٢١م.

٦. الأثر القرآنيّ في ألفاظ الخطبة الفدكية، م.م. أحمد جاسم ثاني، مجلّة الولاية، العتبة العلويّة المقدّسة، العدد ١٢٦، ٢٠٢٢م.

٧. استلهام معاني القرآن الكريم في خطبة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام: قراءة تأويليّة، د. حاكم حبيب الكريطي، مجلّة العميد، العتبة العبّاسيّة المقدّسة، مجلّد ١٣، العدد ٥٠، ٢٠٢٤م.

نعم! لهذه البحوث والدّراسات أهمّيّتها المعرفيّة، وقد بذل الباحثون فيها جهودًا طيّبةً، وقد لحظنا أنّ البحث الأوّل والرّابع والسّادس والسّابع كان طابعها لغويًّا، أمّا الثّانية والثّالثة والخامسة؛ فقد تناولت نصوصًا محدّدةً من الخطبة الشّريفة؛ وعليه نأى الباحث في بحثه هذا عنها، ويزاد على ذلك أنّ قيد هذا البحث هو الدّراسة التّفسيريّة فقيّده بآراء المفسّرين دون غيرهم من العلماء، أو الفقهاء، أو المفكّرين، وبهذا يزعم الباحث عدم التّكرار لِمَا سبق من البحوث.

هيكليّة البحث: اقتضت مادّة البحث أنْ يكونَ من مطلبين؛ المطلب الأوّل: عن الأثر القرآنيّ الظّاهر في الخطبة الشّريفة، والمطلب الثّاني: عن الأثر القرآنيّ المتضمّن للخطبة الشّريفة، متلوّات بخاتمة وقائمة بالمصادر، وعلى النّحو الآتي:

المطلب الأوّل: الأثر القرآنيّ الظّاهر في الخطبة الشّريفة

في هذا المطلب نتعرّض إلى الآيات القرآنيّة الصّريحة الّتي جاءت في خطبة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام، وبيان مدلولها التّفسيريّ المنسجم و القيمَ الّتي أرادتها في خطبتها الشّريفة، ونذكر منها:

أوّلًا: حثّت السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام المستمعين على لزوم طاعة الله تعإلى، وأنّ الطّاعة لله سبحانه مقترنة بالامتثال لِمَا أمر من الواجبات والعمل بهذه الواجبات؛ سواء القوليّة منها أم الفعليّة، وكذلك لزوم الوقوف عند ما نهى عنه سبحانه من المحرّمات؛ سواء منها المحرّمات القوليّة أم الفعلية، وأنّ هذا الالتزام والطّاعة نابعان من قلب إنسان يخشى الله تعإلى في كلّ جوارحه وعلى علمٍ أنّ لهذا الكون خالقًا قادرًا، فهي خشية عن علم ويقين لا عن جهل وتقليد.

فاستشهدت السّيّدة فاطمة عليها السلام بآية كريمة لها أثرها الصّريح في فهم معنى التّقوى والخشية الّتي يُريدها الله تعإلى من عباده العقلاء والمفكّرين؛ فقالت عليها السلام: (فاتّقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتُنّ إلّا وأنتم مسلمون، ولا تتولّوا مدبرين، وأطيعوه فيما أمركم ونهاكم، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٩])، نعم! فالأثر القرآنيّ هنا وشاهده أنّ (العلماء من بين جميع العباد، هم الّذين نالوا المقام الرّفيع من الخشية – وهي الخوف من المسؤوليّة متوافق

مع إدراك لعظمة الله سبحانه -، حالة (الخشية) هذه تولّدت نتيجة سبر أغوار الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة، والتّعرّف على حقيقة علم وقدرة الله وغاية الخلق)[١٠].

وبهذه المعرفة للإبداع الإلهيّ في مخلوقاته يكون التّلازم المنطقيّ بين العلم والعمل؛ فالعمل نتيجة العلم والعلم مفتاح العمل، وهذا المعنى نلحظه في حديث عن الإمام عليّ بن الحسين السّجّاد إذ قال: (وما العلم بالله والعمل إلّا إلفان مؤتلفان فمن عرَف الله خافه وحثّه الخوف على العمل بطاعة الله وإنّ أرباب العلم وأتباعهم الّذين عرَفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه وقد قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾)[١١]؛ فيكون للخوف هنا مفهومٌ آخرُ؛ مفهوم عمليّ إيجابيّ حركيّ لا جمود فيه؛ إذ (الخوف من الله بمعنى الخوف من المسؤوليّة الّتي يواجهها الإنسان، الخوف من أنْ يقصّر في أداء رسالته ووظيفته، ناهيك عن أنّ إدراك جسامة تلك المسؤوليّة يؤدّي أيضًا إلى الخشية؛ لأنّ الله المطلق قد عهد بها إلى الإنسان المحدود الضّعيف، تأمّل بدقّة!!)[١٢].

فنلحظ أنّ الأثر القرآنيّ واضح هنا في كلام السّيّدة الزّهراء عليها السلام وشاهدها المنسجم مع السّياق الّذي نبّهت عليه في التزام التّقوى المرتبطة بالعلم الّذي يكون قرين العمل على نهج الحقّ وخشية الله سبحانه؛ فـ(المراد بالعلماء العلماء بالله وهم الّذين يعرفون الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفة تامّة تطمئنّ

بها قلوبهم وتزيل وهمة الشّكّ والقلق عن نفوسهم وتظهر آثارهم في أعمالهم فيصدق فعلهم قولهم)[١٣].

ويؤكّد ابن عبّاس هذا المعنى في تفسير الآية الكريمة؛ إذ قال: (يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني)[١٤]، وبهذا تكون الخشية الكاملة من عباده العلماء، وهم الذين عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وعظيم حقه سبحانه وتعالى وتبصروا في شريعته وآمنوا بما عنده من النّعيم لمن اتقاه وما عنده من العذاب لمن عصاه وخالف أمره، فهم لكمال علمهم بالله وكمال معرفتهم بالحق كانوا أشد النّاس خشية لله وأكثر النّاس خوفًا من الله وتعظيمًا له سبحانه وتعالى، وليس بطبيعة الحال ان السّيدة الزّهراء عليها السلام أرادت من هذه الآية الكريمة معنى أنّه لا يخشى الله إلّا العلماء؛ فإنّ كلّ مسلم ومسلمة وكلّ مؤمن ومؤمنة يخشى الله عزّ وجلّ ويخافه سبحانه؛ ولكنّ الخوف متفاوت وليس على السّواء؛ فالّذي أرادته السّيّدة عليها السلام هو الكمال في الخشية الّتي يصاحبها العمل؛ إذ كلما كان المؤمن أعلم بالله وأفقه في دينه كان خوفه من الله أكثرَ وخشيته أكملَ، وهكذا النّفس المؤمنة كلّما كانت أعلمَ بالله وأعلَم بصفاته وعظيم حقّه كان خوفها من الله أعظمَ، وكانت خشيتها لله أكملَ من غيرها، وكلّما قلَّ العلم وقلَّت البصيرة قلَّ الخوف من الله وقلّت الخشية له سبحانه؛ فالنّاس متفاوتون في هذا حتّى العلماء متفاوتون؛ فكلّ ما كان العالم أعلم بالله، وكلّما كان العالم أقْومَ بحقّه وبدينه وأعلمَ بأسمائه وصفاته كانت خشيته لله أكملَ

ممّن دونه في هذه الصّفات، وكلّما نقص العلم نقصت الخشية لله، ولكنّ جميع المؤمنين والمؤمنات يخشَون الله سبحانه وتعالى على حسب علمهم ودرجاتهم في الإيمان.

ثانيًا: توضِّح السّيّدة الصّدّيقة عليها السلام مكانتها من الوحي، وسموّ مقامها عند صاحب الرّسالة، وبكلّ هذه المقدّمات تكون قد مهّدت إلى دفع الارتياب في ما تقوله لمستمعيها من الصّحابة، فلا يكون هناك شكّ في كلامها، وأنّ الّذي تدينون به بالاعتقاد بصدقه واتّباع ما أُنزل عليه من السّماء وإجماعكم على فضله وشرفه وعلوّ مقامه في شخصه، وفي نبوّته ورسالته هو أبوها من دون النّاس، وهي ابنته دون نسائكم، وابنُ عمّ زوجها دون أحد من رجالكم، بل وأخو زوجها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ وفي ذلك إشارة منها عليها السلام إلى المؤاخاة عند الهجرة إلى المدينة المنوّرة، وأنّها عليها السلام بخطابها هذا تؤكّد أنّها البنت الوحيدة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول السّيّد جعفر مرتضى العامليّ: (إنّه لم يكن للرّسول سوى بنت واحدة هي الزّهراء وذكرت أحد عشر دليلًا على هذا الأمر في كتيب طبع باسم: «بنات النّبيّ أم ربائبه» وفي: «الصّحيح من سيرة النّبيّ الأعظم» حديث عن هذا الأمر أيضًا)[١٥]؛ إذ قالت الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام: (أيّها النّاس أنا فاطمة، وأبي محمّد، أقول عودًا على بَدءٍ، ولا أقول ما أقول غلَطًا، ولا أفعل ما أفعلُ شططًا، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١٦]؛ فإنْ تعزُوه

تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم..)؛ فنلحظ هنا أنّ السّيّدة الزّهراء عليها السلام قد وظّفت (النّصّ القرآنيّ توظيفًا مناسبًا؛ إذ كانت تمهِّد له بقولها (لا أقول ما أقول غلطًا..) وفيه تأكيدُ عدمِ القول من جانب وعدم الفعل من جانبٍ آخرَ، لِمَا هو غلط قولًا أو ما هو شطط فعلًا، وعليه فقد قدّم هذا التّمهيد نفسه بوصفه دلالة رمزيّة لِمَا هو آتٍ، فاقتطعت السّيّدة الزّهراء عليها السلام جزءًا من الآية الكريمة ليتمَّ معها التّوظيف في سياق الخطبة الشّريفة، وفي كلا النّصّين تظهر سمات النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله محمّد وآل بيته الكرام عليهم السلام)[١٧].

ولهذا نلحظ دقّة اختيار السّيّدة الزّهراء عليها السلام في توظيف هذا النّصّ القرآنيّ، وما له من انسجام مناسب مع الظّرف الّذي تعانيه من قسوة القوم وغلظة مشاعرهم تُجاهها؛ وقد أدّى في ما بعد إلى ظلمها، فتذكّرهم بما كان لأبيها من خصائصَ رحيمةٍ تُجاههم، وكيف كان رؤوفًا بهم وحريصًا على هدايتهم؛ فالنّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله انماز على سائر الخلق بأنّه ذو (رأفة)[١٨] ورحمة بالنّاس أجمعين، مع أنّه من جنسهم إلّا أنّه أشدّ رأفة منهم؛ فالنّبيّ صلى الله عليه وآله إنسان في مشاعره ينساب بالحنان والرّأفة ويتعطّف على النّاس من حوله فيضمّ المؤمنين إليه في حرصٍ كبيرٍ وخوف شديد من أنْ يَمَسَّهم سوء، أو عرض لهم مكروه.

فنجد في هذه الآية الكريمة أنّ (مِن أوصافه يشقّ عليه ضرّكم أو هلاككم وأنّه حريص عليكم جميعًا من مؤمن أو غير مؤمن)[١٩]، حريص على هدايتكم وتحمل لأجلكم معاناة عظيمة حتّى قال: (ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت)[٢٠]؛

فبعد كلّ هذا الأذى الّذي عاناه أبو الزّهراء الحبيب محمّد ﷺ، والحرص الكبير الّذي أولاكم إيّاه هل يليق (أنْ تهجموا على بيت بضعة الرّسول وكفنه ما زال رطبًا من ماء الغسل.. أيُّ تقوى هذه؟ بدلًا من أنْ تتألّموا لمصابكم وتعزّوها بأبيها، وأيّ أب، حتّى لكأنّه لم يؤثّر في تلك القلوب ولو بمقدار ذرّة.. وهل يمكن أنْ يكونَ الإنسان محبًّا لشخصٍ آخرَ، ثمّ لا يترك فراقه وموته أيّ أثر عليه.. ما زالت الجنازة مطروحة على الأرض والسّادة كانوا مشغولين بتنصيب من يكون الرّئيس عليهم، فهل هذا هو طريق التّقوى، أم أنّه طريق الدّنيا والسّعي وراء المناصب والرّئاسة..)[٢١].

فالسّيّدة الزّهراء عليها السلام استعملت أسلوب التّهكّم والذّمّ هنا؛ وهذا الأسلوب هو (هجوم متعمّد على شخص لغرض سلبه كلّ أسلحته وتعريته من كلّ ما يتخفّى فيه ويتحصّن وراءه)[٢٢]، فيعبِّر عن الأغراض النّفسيّة؛ إذ تميّز به الخداع والمراء والكذب والنّفاق وكلّ الأمراض النّفسيّة الّتي أصابت نفوس القوم، فبأسلوبها عليها السلام هذا ربطت بين ما كان من صفات أبيها رسول الله ﷺ وما كان من أفعال القوم تُجاهها!! فكانت بينهم مظلومة بأشدّ ما يكون الظّلم والجور والقهر، كما قال الرّسول ﷺ: (كأنّي بها وقد دخل الذّلّ بيتها، وانتهكت حرمتها، وغصبت حقّها، ومنعت إرثها، وكسر جنبها، وأسقطت جنينها، وهي تنادي: يامحمّداه! فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة، مكروبة، باكية)[٢٣].

خصيصة الرّأفة الّتي اختارتها السّيّدة فاطمة عليها السلام -إذًا- واضحة في دلالة الآية الكريمة، وفيها من التّوبيخ للقوم والتّذكير لهم بمقامها وما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأجل هدايتهم، بل ونلحظ أمرًا آخرَ أيضًا هو عموميّة الآية؛ لأنه رؤوف بالنّاس عامة، ولعل السّيّدة الزّهراء عليها السلام تؤكّد هذا المعنى عندما افتتحت كلامها بمخاطبة النّاس كافّة من غير تخصيص لقوميّة معيّنة حاضرة، بل خطابها عامّ للحاضر الشّاهد وللغائب في كلّ مكان وزمان: **(أيّها النّاس أنا فاطمة، وأبي محمّد)**، وبهذا لا يتّفق الباحث مع مَن ذهب مِن المفسّرين بأنّ هذه الخصيصة (الرّأفة) خاصّة بقوم النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعشيرته، بعد أنْ فسّر قوله تعالى: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم من العرب خاصّته، وعندئذٍ يترتّب عليه أنْ تكونَ الرّأفة خاصّة بالعرب دون غيرهم، فكان أنْ فسّر محمّد رشيد رضا(ت١٣٥٤هـ) هذه الآية وخصّها في (طهارة نسبه صلى الله عليه وآله وسلم وفضل قومه وأصفيائه من خيارهم)[٢٤]، مع أنّ الآية تخاطب النّاس جميعًا، وتوضّح أنّه صلى الله عليه وآله وسلم ليس من فصيلة غير فصيلة البشر؛ ولذا فإنّه يعيش أحاسيسكم ومشاعركم وأفكاركم في روحيّةٍ من الانفتاح والامتداد والشّمول.

ولا ريب في أنّ نسب النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أشرف وأطهر نسب؛ وهذا ممّا لا خلاف فيه ولا جدال، وسلسلة آباء النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: واضحة في امتدادها العقائديّ، وصلتها الإيمانيّة بالله تعالى[٢٥]، إلّا أنّ تمييز العرب دون غيرهم لا دليل عليه في الآية المتقدّمة، وإنْ ساق محمّد رشيد رضا جملة من الخصائص لأمّة العرب،

بعد أنْ عجز غيره من العلماء الّذين ذهبوا إلى رأيه في تفسير الآية المتقدّمة، كما وضّح هو ذلك في قوله: (ولم أرَ لأحد من العلماء بيانًا لمعنى هذا الاصطفاء بِمَ كان؟)[٢٦].

إنّ لهذا التفسير سلبيّاتٍ يقع فيها المفسّر في فهم النّصّ القرآنيّ وعالميّته وعدم ورود الخطابات القرآنيّة خاصّة بقوميّةٍ دون أخرى، وبهذا يؤيّد الباحث ما ذهب إليه الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي في إنكاره لمن ذهب إلى تخصيص رأفة النّبيّ ﷺ بقومه فحسب؛ إذ قال: (إنّ هذا هو أسوأ تفسير ذكر لهذه الآية، لأنّا نعلم أنّ الشّيء الّذي لم يجرِ له ذكر في القرآن الكريم هو مسألة الأصل والعرق، ففي كلّ مكان تبدأ خطابات القرآن الكريم بـ (ياأيّها النّاس) و(يا أيّها الّذين آمنوا) وأمثالها، ولا يوجد في أيّ مورد (يا أيّها العرب) و(يا قريش) وأمثال ذلك)[٢٧].

الخطاب القرآنيّ -إذًا- عامّ لجميع النّاس، وأنّ خصيصة الرّأفة غير منحصرة بقوم دون قوم، فهي عامّة، وإلى هذا المعنى ذهب السّيّد محمّد حسين الطّباطبائي؛ إذ قال: (إنّ المراد به أنّه بشر مثلكم ومن نوعكم إذ لا دليل يدلّ على تخصيص الخطاب بالعرب أو بقريش خاصّة، وخاصّة بالنّظر إلى وجود رجال من الرّوم وفارس والحبشة بين المسلمين في حال الخطاب)[٢٨]، فخصيصة الرّأفة على النّاس كافّة من غير الانحياز لقوميّة أو

جنس أو مصلحة أو اعتبار غير اعتبار الإنسانيّة والإيمان؛ خصيصة انماز بها النّبيّ محمّد ﷺ على سائر البشر بما أشار إليها القرآن المجيد وأنّها عامّة شاملة لجميع النّاس دون قوميّة أو أخرى وهذا من انفراداته وخصوصيّاته الّتي نصّ عليها القرآن الكريم في الآية المتقدّمة، فكان لها أثرها في فكر السّيّدة الزّهراء عليها السلام وهو الواضح الجليّ فيما افتتحت فيه خطابها كما مرّ بنا.

ثالثًا: المنافقون واليهود جماعات منحرفة عن سبيل الفطرة وناكسة عن سبيل الحقّ تجلّت فيها كلّ صور الشّرّ والسّوء ظاهرًا وباطنًا فهم أكّالون للسّحت سمّاعون للكذب مرجفون في الأرض مريدون للفساد الّذي لا يقرّ لنفوسهم قرار إلّا به وهم ساعون في كلّ ما من شأنه خراب العالم بأسره في سبيل تحقيق مصالحهم.

فكان لوجود رسول الله ﷺ بين ظهراني المسلمين عامل دعم لهم وصِمام أمان عن شرّ هذه الجماعات ومازال ذائدًا عنهم كلّ خطبٍ جلل منقذًا لهم من كلّ سوء وبليّة، وهذا ما نلحظه في قول الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام: (.. فأنقذكم بنبيّه بعد اللّتيّا والّتي، وبعد ما مُنِي ببُهم الرّجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾[٢٩]).

فنلحظ هنا الأثر القرآنيّ في خطبة الزّهراء عليها السلام، وهي تشكّل على هذه الجماعات المنحرفة والمعادية لدين الله سبحانه، والشّواهد التّأريخيّة على ذلك

كثيرة والنّصوص القرآنيّة حافلة في بيان حال اليهود والمنافقين، ولكن نقتصرها على ما كان في غزوة الخندق؛ إذ تحزّبت الأحزاب على المسلمين، وحاصروا المدينة، ونقضت يهود من داخل المدينة عهدها مع رسول الله ؛ فاشتدّ الكرب، وعظمت المحنة، ويكفي في وصف ذلك الموقف العصيب قول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[٣٠]، فعبّر القرآن الكريم بهذا التّمثيل عن شدّة الخوف والفزع الّذي داهم المسلمين[٣١].

فلمّا اشتدّ البلاء على النّبيّ ﷺ ومَن معه مِن الصّالحين نافق أناس كُثر، وتكلّموا بكلام قبيح، فلمّا رأى رسول الله ﷺ ما فيه النّاس من البلاء والكرب جعل يبشّرهم ويقول: (والّذي نفسي بيده ليفرجنّ عنكم ما ترون من الشّدّة والبلاء؛ فإنّي لأرجو أنْ أطوفَ بالبيت العتيق آمنًا، وأنْ يدفعَ الله عزّ وجلّ مفاتح الكعبة، وليُهْلِكنّ الله كسرى وقيصر، ولتنفقنّ كنوزهما في سبيل الله)[٣٢]؛ فقال رجل ممّن معه لأصحابه: ألا تعجبون من محمّد يعدنا أنْ نطوفَ بالبيت العتيق وأنْ نغنمَ كنوز فارس والرّوم ونحن هنا لا يأمن أحدنا أنْ يذهبَ إلى الغائط، والله لما يعدنا إلّا غروًرا، وقال آخرون ممّن معه: ائذنْ لنا فإنّ بيوتنا عورة، وقال آخرون: ﴿يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾[٣٣]؛ أي: ارجِعوا عن دين الإسلام .

فما كان من رسول الله ﷺ بعد أن استكلب عليه النّاس إلّا المنافحة عن العقيدة ونصرة المظلومين والوقوف بوجه الطّغيان اليهوديّ والاستغلال البشع للمنافقين؛ فلم توهنْه الأراجيف عن السّير قُدمًا إلى رضوان الرّبّ الجبّار، صابرًا في ذات الله سبحانه ورضوانه، وهذا المعنى نلحظه في كلام الإمام عليّ عليه السلام؛ إذ قال عن أحوال النّبيّ ﷺ: (خاض إلى رضوان الله كلّ غمرة، وتجرّع فيه كلّ غصة، وقد تلوّن له الأدنون، وتألّب عليه الأقصَون، وخلعت إليه العرب أعنّتها، وضربت لمحاربته بطون رواحلها، حتّى أنزلت بساحته عداوتها من أبعد الدّار وأسحق المزار)[٣٤].

نعم! فوجود الرّسول الأكرم ﷺ بين ظهرانَي المسلمين كما بيّنته آيات الذّكر الحكيم الّتي بدت واضحة الأثر في أثناء كلام السّيّدة الزّهراء عليها السلام كان مبطلًا لخدع اليهود واتّباعهم، مطفئًا لنار الحروب الّتي تعصف بالإسلام من قبلهم، فتُعَدّ هذه (الظّاهرة -وجود النّبيّ ﷺ - إحدى معاجز حياة النّبيّ الأكرم محمّد ﷺ؛ لأنّ اليهود كانوا الأقوى بين أهل الحجاز والأعرف بمسائل الحرب، فضلًا عمّا كانوا يمتلكون من قلاع حصينة وخنادق منيعة، ناهيك عن قدرتهم الماليّة الكبيرة الّتي كانت لهم عونًا في كل صراع بحيث أن قريشًا كانوا يستمدّون العون منهم)[٣٥].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الحال في هذا الزّمن كحال الأسلاف من قبلُ؛ فتنةً وامتحانًا وابتلاءً، وإنْ تفاوت ذلك بين قليل وكثير، وشديد وأشدّ، وفي

الأمّة منافقون كما كانوا من قبلُ؛ وفي المسلمين سمّاعون لأراجيفهم وأباطيلهم، وتخويفهم بالكافرين كما كان ذلك في الصّدر الأوّل، وسيثبت رجال في عصرنا هذا رغم شدّة البلاء، وعظم الكرب، قد امتلأت قلوبهم إيمانًا بالله تعالى، وثقة بنصره، وتصديقًا بوعده، فإنْ أدركوا وقت النّصر فازوا بالحسنتين حسنة الدّنيا والآخرة، وإن قبضوا قبل ذلك لقوا ربّهم ثابتين على دينهم، مستمسكين بشريعتهم.

رابعًا: كثير من النّاس يحتاط خشية الوقوع في الفتنة؛ وهذا ممّا ندبت إليه الحكمة والعقلانيّة، ولكن عندما تكون هذه الخشية والتّصرّفات السّلوكيّة من الأعمال أو الأقوال غير مبتنية على أُسس سليمة أو غير منسجمة مع قوانين روح الدّين الإسلاميّ ونابعة من هوى النّفس المريضة تكون هي الفتنة بعينها!

قالت السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام: (فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرّسول لمّا يقبر، ابتدارًا زعمتم خوف الفتنة، ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٣٦])، وهذا الفكر الّذي أشارت إليه الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام من الضّلال في الرّأي والأعمال والانحراف عن الجادّة بذريعة التّديّن والحيطة هو الّذي نوّه إليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

صُنْعًا﴾[٣٧]؛ -النّتيجة إذًا- هي الخسران المبين والسّعي الّذي لا تزيد سرعة صاحبه إلّا ضلالًا وانحرافًا عن الحقّ!

فتؤكّد السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام أنّ اعتذارهم بهذه الأعمال من إقصاء آل محمّد عليهم السلام عمّا وضعهم الله سبحانه من منزلة هو حفاظ منهم على بيضة الإسلام وحرصٌ منهم على ديمومة الشّريعة لمّا كره مَن كره مِن النّاس مقام الإمام عليّ عليه السلام وخلافته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هو الفتنة في عينها ونفسها؛ أي: (ادعيتم وأظهرتم للناس كذبًا وخديعة أنا إنّما اجتمعنا في السّقيفة دفعًا للفتنة، مع أنّ الغرض كان غصب الخلافة عن أهلها، وهو عين الفتنة)[٣٨]، والأثر القرآنيّ في معنى الفتنة الّتي أشارت إليها السّيّدة الزّهراء عليها السلام هي الفتنة الّتي عبّر عنها القرآن الكريم في الآية الّتي استشهدت بها الصّدّيقة عليها السلام؛ إذ المراد بالفتنة هنا: (اختلال الأمور وفساد الرّأي)[٣٩]، ومن مخالفة النّصّ الحكيم واتّباع الأهواء، يقول الإمام عليّ عليه السلام: (إنّما بَدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجال رجالًا على غير دين الله)[٤٠]، فأثر الآية واضح في فكر السّيّدة الزّهراء عليها السلام وتوظيفها في محلّها الّذي يوضّح ما آلت إليه أعمال مؤتمر السّقيفة.

فقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٤١]، نزلت في بعض المنافقين استأذنوا

النّبيّ ﷺ في التّخلّف عن تبوك ولم يبدوا عذرًا يمنعهم من الغزو، ولكنّهم صرّحوا بأنّ الخروج إلى الغزو يفتنهم لمحبّة أموالهم وأهليهم، ففضح الله تعإلى أمرهم بأنهم منافقون: لأنّ ضمير الجمع المجرور عائد إلى الّذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وقيل: قال جماعة منهم: ائذنْ لنا لأنّا قاعدون أذنتَ لنا أم لم تأذن فأذَنْ لنا لئلّا نقَع في المعصية، وهذا من أكبر الوقاحة لأنّ الإذن في هذه الحالة كعدمه، ولعلّهم قالوا ذلك لعلمهم برفق النّبيّ ﷺ وقيل: «إنّ الجدّ بن قيس قال: يا رسول الله، لقد علم النّاس أنّي مستهتر بالنّساء فإنّي إذا رأيت نساء بني الأصفر افتتنتُ بهنّ فأذنْ لي في التّخلّف ولا تفتنّي وأنا أعينك بمالي، فأذِنَ لهم، ولعلّ كل ذلك كان»(٤٢).

والإتيان بأداة الاستفتاح في جملة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ للتنبيه على ما بعدها من عجيب حالهم إذ عاملهم الله تعإلى بنقيض مقصودهم فهم احترزوا عن فتنة فوقعوا في الفتنة. فالتّعريف في الفتنة ليس تعريف العهد؛ إذ لا معهود هنا، ولكنّه تعريف الجنس المؤذن بكمال المعرف في جنسه؛ أيْ: في الفتنة العظيمة سقطوا؛ فأيّ وجه فرض في المراد من الفتنة حين قال قائلهم: ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ كأنّما وقع فيه أشدّ ممّا تفصّى منه؛ فإنْ أراد فتنة الدّين فهو واقع في أعظم الفتنة بالشّرك والنّفاق، وإنْ أراد فتنة سوء السّمعة بالتّخلّف فقد وقع في أعظم بافتضاح أمر نفاقهم، وإنْ أراد فتنة النّكد بفراق الأهل والمال فقد وقع في أعظم نكد بكونه ملعونًا مبغوضًا للنّاس، وهكذا كان التّشابه بين الفتنة في

سبب نزول النّصّ والفتنة الّتي خشي القوم من الوقوع فيها! فسقطوا في الفتنة الّتي أشارت إليها السّيّدة الزّهراء عليها السلام؛ فلا يَخفى على الباحث مدى الأثر القرآنيّ في دقّة مفرداتها عليها السلام في خطبتها الشّريفة.

خامسًا: العمل بتعاليم السّماء والأوامر الإلهيّة من الواجبات الّتي فرضتها الأديان السّماويّة، وتعاليم الدّين الإسلاميّ هي آخر تعاليم السّماء، والعمل بها وتطبيقها أمر واجب وتاركه عرضة لسخط الله تعالى وعذابه، وأنّ هذه التّعاليم قوانين أُنزلت على شكل نصوص محكمة لم تجعل لغير المعصوم أنْ يجتهدَ قبالها؛ فقال الفقهاء بقاعدة: (لا اجتهاد مع وجود النّصّ)[٤٣]، وما روي من حديث[٤٤] في مخالفة عموم آيات القرآن الكريم لا يصمد أمام النّقد العلميّ والوقائع من الآيات المُحكمات في الميراث الّتي ذكرتها الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام كما سيمرّ بنا.

وقد حذّرت نصوصُ الذّكر الحكيم من أنْ يقول المرء برأيه في قوانين الشّريعة الإسلاميّة مهما كان شأنه وبلغ من العلم مبلغًا قبال أحكام الله سبحانه المنصوصة، وتوعدته بالعقاب الشّديد وأنّ فاعله ظالم وضالّ وخارج عن دين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[٤٥]، يقول السّيد الطّباطبائي: (يشهد السّياق على أنّ المراد

بالقضاء القضاء التشريعيّ دون التكوينيّ فقضاء الله تعالى حكمه التشريعيّ في شيء ممّا يرجع إلى أعمال العباد أو تصرّفه في شأن من شؤونهم بواسطة رسول من رسله، وقضاء رسوله هو الثّاني من القسمين وهو التّصرّف في شأن من شؤون النّاس بالولاية الّتي جعلها الله تعالى له..)[٤٦].

ونلحظ أثر هذا المضمون القرآنيّ في خطبة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام إذ عبّرت عنه جليًّا في كلمات خطبتها، إذ قالت: (.. فهيهات منكم! وكيف بكم؟! وأنّى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلّفتموه وراء ظهوركم، أ رغبةً عنه تريدون؟، أم بغيره تحكمون؟! ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[٤٧]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤٨]..) فالإسلام الّذي أرادته الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام ليس الإسلام الصّوريّ، الإسلام الّذي يُعبّر عنه بالصّلاة وبعض الطّقوس العباديّة فحسب؛ فالقوم مقيمون لهذه الشّعارات وبكلّ أشكالها، الإسلام الّذي عنته عليها السلام هو ذاته الّذي أرادته الآية الكريمة الظّاهرة في خطبتها، الإسلام مضمون وسلوك، لا إسلام (رسوم وتقاليد يتّخذها القوم رابطة للجنسيّة، وآلة للعصبيّة، ووسيلة للمنافع الدّنيويّة؛ وذلك ممّا يزيد القلوب فسادًا، والأرواح إظلامًا، فلا يزيد النّاس في الدّنيا إلّا عدوانًا، وفي الآخرة إلّا خسرانًا،..، لأنّه خسر نفسه إذ لم يزكّيها بالإسلام لله، وإخلاص السّريرة له جلّ علاه)[٤٩].

وقالت السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام: (.. ثمّ لم تلبثوا إلّا ريث أنْ تسكنَ نفرتها، ويسلس قيادها، ثمّ أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشّيطان الغويّ، وإطفاء أنوار الدّين الجليّ، وإهماد سنن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الصّفيّ، تسرّون حسوًا في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمر والضّرّاء، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى، ووخز السّنان في الحشا، وأنتم تزعمون ألا إرث لنا ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٥٠] أفلا تعلمون؟! بلى، تجلّى لكم كالشّمس الضّاحية أنّي ابنته أيّها المسلمون، أأغلب على إرثيَهْ؟!).

كلّ هذه السّلوكيّات الّتي أوردتها عليها السلام في خطبتها الشّريفة هي لبيان ما أصاب القوم من التّقهقر عن تعاليم الدّين الإسلاميّ وشريعته الّتي جاء بها النّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، وكما مرّ أنّ عدم العمل بمقتضيات الواجبات الّتي فرضها الله تعالى وما سنّه من أحكام تنظم العلاقات الاجتماعيّة من نظم وقوانين هو عودة إلى الوراء حيث الجاهليّة الظّلماء (وأحكامها الّتي تنصّ على عدم توريث البنات قد علّقت في أذهانكم؛ فإنّ هذه الخرافات قد تعطّلت ولا سبيل للعودة إلى ليالي الظّلمة بعد طلوع الفجر المشرق)[٥١]، بل إنّ الانحراف والخروج عن المنظومة الإسلاميّة هو الكفر والظّلم والفسوق، هكذا وصف ربّنا سبحانه المخالفين لقوانينه الجائرين على حقوق الآخرين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ

بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٥٣)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٥٤).

والآية الّتي استشهدت بها الصّدّيقة عليها السلام فيها تنبيه للمخاطبين أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم مأمور بالحكم بما أنزل الله سبحانه عليه، وكذلك تحثّه بعدم الرّكون إلى عاداتهم وجاهليّتهم وأهوائهم، وأنّ هذا التّنبيه سارٍ على كلّ حاكم تولّى شؤون المسلمين بأنْ يحكم بما نصّ الله تعالى عليه من أحكام شرعها لعباده وإلزام النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بـ(ما أنزل الله والحكم به لا غير، وعدم اتّباع هوى المتخاصمين والحذر من الوقوع في شركهم وتدليسهم وخداعهم أو التّأثر بتقاليد وعادات قديمة مخالفة لأحكام الله تعالى، حيث ينطوي في هذا تلقين جليل مستمرّ المدى للّذين يتولّون الحكم والقضاء في الإسلام)(٥٥).

فيلحظ الباحث عمق الأثر القرآنيّ في فكر السّيّدة الطّاهرة ؛ وهو الظّاهر هنا في استشهادها بالنّصوص القرآنيّة المنسجمة مع الجوّ العامّ للخطبة الشّريفة وظروفها، وفيها البُعد القيميّ الّذي استمدّته السّيّدة الزّهراء عليها السلام من القرآن الكريم والّذي يؤسّس إلى أنّ الحُكم بما لم يُنزل الله تعالى هو انحراف عن الدّين الإسلاميّ والحاكم هذا مهما كان زمنه ومكانه بعيد عن عصر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو كافر وظالم وفاسق، وعندئذٍ هو ليس من الموقنين بما شرع الله سبحانه، كما دلّ الظّاهر من النّصوص المقدّسة المتقدّمة.

سادسًا: قالت السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام: (يا بن أبي قحافة، أفي كتاب الله أنْ ترِثَ أباك ولا أرث أبي؟! ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾(٥٦) أ فعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؛ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(٥٧)؟! وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا ( )؛ إذ قال: ربّ ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٥٨)، وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(٥٩)، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾(٦٠)، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(٦١)، وزعمتم ألّا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج منها أبي ؟! أم هل تقولون أهل ملّتين لا يتوارثان؟!، أوَ لستُ أنا وأبي من أهل مِلّة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن الكريم وعمومه من أبي وابن عمّي؟! فدونكما مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنِعم الحكم الله، والزّعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند السّاعة ما تخسرون، ولا ينفعكم إذ تندمون، و﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾(٦٢) و﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾(٦٣)).

ساقت السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام مجموعة من الآيات القرآنيّة الّتي وضّحت حكم الإرث ومستحقّيه تؤكّد بها (أنّ جميع الأبناء يرثون آباءهم وأمهاتهم في الإسلام، باستثناء من لم يكن على دين ومذهب أبيه، بمعنى أنّ

الأبناء الكفرة لا يرثون من أب وأمٍّ مسلمين، فهل تعتقدون باختلاف دينيّ ومذهبيّ عن دين ومذهب والدي؟!!)[٦٤].

أمّا الآيات الأخرى فهي في حقّ الإرث ففي الآية الأولى تشير إلى كيفيّة توزيع الإرث بين ذوي المتوفّى، والآية الثّانية تؤكّد أنّ الأقرباء هم أولى بعضهم ببعض من غيرهم والثّالثة توجب على المقرّبين أنْ يتركَ وصيّة وليس هناك بأولى للمتوفّى أنْ يوصيَ بابنته، فهذه الآيات آيات عامّة تشمل سائر المسلمين وفي مقدّمتهم النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فلا يمكن بحال من الأحوال مخالفة هذه النّصوص القرآنيّة المحكمة؛ وهي الّتي وضّحت بما لا إشكال فيه على أنّ الميراث من تشريعات السّماء الّتي لا يمكن مخالفتها، وأنّه حقّ للوارث والمورث الّذي يضمن فيه مستقبل من يعولهم ويكدّ لهم من أرحامه، وأنّه لمن بديهات العقل أيضًا، فرسول الله يوصي أصحابه بضرورة جعل تركة، وعموم الفقهاء يستدلّون برواية عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أهمّيّة الميراث وكذلك في تحديد الوصيّة بالثّلث؛ فقد روى الزّهريّ عن عامر بن سعد عن أبيه أنّه مرض بمكّة مرضا أشفى منها فعاده رسول الله فقال: يا رسول الله ليس يرثني إلّا البنت أ فأوصي بثلثَي مالي؟ فقال: لا! فقال: أفاوصي بنصف مالي وفي بعضها بشطر مالي؟ فقال: لا؛ فقال أفاوصي بثلث مالي؛ فقال: بالثّلث والثّلث كثير، فقال : (إنّك إنْ تدَعْ أولادك أغنياء خير لهم من أنّك تدَعُهم عالة يتكفّفون النّاس)[٦٥].

فهل يمكن للخبر الوحيد المخالف لعموم نصوص القرآن الكريم وخصوصه أنْ يكونَ ذا قيمة وأهمّيّة في محكمة العدل الإسلاميّ؟!

ولا ندري كيف تُقبل رواية الخصم متفرّدًا بحديث يناقض كتاب الله تعإلى ويعارض النّقل، ولا تقبل شهادة السّيّدة الزّهراء عليها السلام الّتي توافق الكتاب الكريم ولا تعارض النّقل، وهي الصّدّيقة المطهّرة من الرّجس؟! إلّا أنْ يكونَ الخصم هو الحاكم، وللحاكم أنْ يحكمَ بما يشاء.

ولو كان حديث منع الإرث صحيحًا في صدوره (لوجب على النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يبيِّنَ لورثته أنّ تركته صدقة لكلِّ المسلمين، وليس لهم حقّ المطالبة بالإرث بعده، لئلّا يتعرّضوا لمواضع التّهمة في المطالبة بما لا يستحقّونه، وليقطع دابر الفرقة والاختلاف)[٦٦] بين الصّحابة وأهل بيته عليهم السلام، ولجنَّبَ ابنته عليها السلام كلّ هذه المآسي والأحزان!

وقد نقض كلامَ الحاكم الأول بعضُ مفسّري مدرسة الصّحابة كالفخر الرّازيّ (ت٦٠٤هـ)[٦٧]، وجار الله الزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ)[٦٨] والطّبريّ (ت٣١٠هـ)[٦٩] والبيضاويّ (ت٧٩١هـ)[٧٠] في تفسيرهم للآيات الّتي تتعرّض لميراث الأنبياء كالنّبيّ داوّد والنّبيّ زكريّا والنّبيّ يحيى والنّبيّ سليمان عليهم السلام؛ إذ أكّدوا أنّ الآيات ناظرة إلى الموروث المادّيّ لا المعنويّ.

في حين ذهب القرطبيّ (ت٦٧١هـ) بخلاف ما قاله عامّة المفسّرين وقال: (إنّ سليمان لم يرث من داوّد مالًا خلّفه داوّد بعده، وإنّما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب هكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن الكريم ما عدا الرّوافض)[٧١]. ولعلّنا في التّعليق على رأي القرطبيّ يكتفي الباحث هنا بما استدلّ به الرّازي؛ إذ قال: (إنّ العلم والسّيرة والنّبوّة لا تورث بل لا تحصُل إلّا بالاكتساب فوجب حمله على المال، الثّاني: أنّه قال ﴿واجعله ربّ رضيًّا﴾ ولو كان المراد من الإرث إرث النّبوّة لكان قد سأل جعل النّبيّ ﷺ رضيًّا وهو غير جائز لأنّ النّبيّ ﷺ لا يكون إلّا رضيًّا معصومًا، -ووجه حديث النّبيّ محمّد ﷺ بأنّه خاصّ به-)[٧٢].

ونضيف إلى الرّازيّ في التّعليق على القرطبيّ إذا كان الأنبياء عليهم السلام يورثون العلم والحكمة والسّيرة دون المال لأبنائهم خلاف ما يدّعيه الرّوافض، فمَن هم ورثة النّبيّ محمّد ﷺ!! حتّى يورثهم العلم والحكمة وسنّته والسّيرة؟!، معلوم هم أهل بيت النّبيّ ﷺ ولذا (فإنّهم يصبحون المرجِع في الأحكام وهذه هي الحقيقة الّتي نزلت أرض الواقع؛ إذ إنّ الإمام عليًّا (رضي الله عنه) أصبح مرجِعًا لحكومة أبي بكر وعمر وعثمان حتّى أُثِر عنهم أقوالهم الّتي توضّح حاجتهم لعلمه وحكمته (رضي الله عنه) مع ملاحظة أنّهم يأخذون بكلامه في الوقت الّذي لا يتعارض مع سياستهم، أمّا الّذي يتعارض مع سياستهم فلا يأخذون به كقضيّة فدك كما لاحظنا)[٧٣].

سابعًا: ثمّ رمت بطرفها عليها السلام نحو الأنصار؛ فقالت: (يا معاشر الفتية، وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام ما هذه الغميزة في حقّي؟ والسّنّة عن ظلامتي أمَا كان رسول الله أبي يقول: المرء يُحفَظ في وُلْده؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوّة على ما أطلب وأزاول أتقولون مات محمّد ؟ فخطب جليل استوسع وَهْيُهُ، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشّمس والقمر، واندثرت النّجوم لمصيبته، وأكْدَت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم وأزيلت الحرمة عند مماته فتلك والله النّازلة الكبرى والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافًا وصراخًا وتلاوة وإلحانًا، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حتم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِل انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٧٤]).

إنّ الدّين الإسلاميّ دين عالميّ وخاتم الدّيانات السّماويّة، وأنّ خلوده باقٍ ما بقي الدّهر ولا ينتهي بنهاية مُبلّغة للنّاس الرّسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّ هذا الدّينَ (كان انقلابًا قائمًا على أساس دينيّ، دينٌ إلهيٌّ سماوي، الدّين الّذي يؤمّن احتياجات النّاس على مرّ العصور، ولا بدّ لهذا الدِّين أنْ يبقى ويدوم)[٧٥].

والآية الكريمة في معرِض التّأنيب للمسلمين الّذين ارتدّوا عند سماعهم شائعة مقتل النّبيّ ﷺ في معركة أحد، وأنّ القيم والمبادئ وكلّ ما نزل من رسالة السّماء غير مقيّد بوجود صاحب الرّسالة، وأنّ (محمّدًا ليس إلّا بشرًا رسولًا قد خلت ومضت الرّسل من قبله فماتوا وقد قتل بعض النّبيّين كزكريّا ويحيى فلم يكن لأحد منهم الخلد وهو لا بدّ أنْ تحكمَ عليه سنّة الله بالموت فيخلُوَ كما خلَوا من قبله؛ إذ لا بقاء إلّا لله وحده ولا ينبغي للمؤمن الموحّد أنْ يعتقده لغيره، أفإنْ مات كما مات موسى وعيسى، أو قتل كما قتل زكريّا ويحيى، تنقلبون على أعقابكم؛ أيْ: تولّون الدُّبُر راجعين عمّا كان عليه، يهديهم الله بهذا إلى أنّ الرّسول ليس مقصودًا لذاته فيبقى للنّاس، وإنّما المقصود من إرساله ما أرسل به من الهداية فيجب العمل بها من بعده، كما وجب عهده)[٧٦].

والسّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام تعبِّر عن انقلاب القوم عن دين الإسلام جرّاء رحيل صاحب الرّسالة ، وأنّ ما أسّسه النّبيّ الخاتم ﷺ في الأمّة من تعاليم السّماء لا بدّ أنْ يكونَ كما كان في عهده وهو بين ظهرانيّهم، فيكونون خير خلف لنعم السّلف لا أنْ يعودوا بها جاهليّة عمياء، فيبدو الأثر القرآنيّ في كلامها عليها السلام فهي تحزن لهذا الفقد الجلل وأنّ حزنها عليه لعظيم، ولكن الأنكى والمؤلم هو الارتداد عمّا سنّه للنّاس من شرائع والانحراف عن المنهج القويم الّذي كابَدَ من أجله محِنًا طوالًا وسنين عجافًا، وأنّ الله سبحانه لا يضرّه من انحرف

وسوف يعاقبهم بما يستحقّون من العذاب، وأنّه سبحانه سيجزي الشّاكرين المحافظين على منهج الإسلام المحمّديّ الأصيل كما كانوا على عهده.

ثامنًا: قالت السّيّدة الزّهراء عليها السلام: (فأنّى حرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلام، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان؟ ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٧٧)).

في هذا المقطع الشّريف من كلامها عليها السلام تعمد على توبيخ القوم مُعرّضة بهم إلى الفتور الّذي خامرهم بعد أن استضاءوا بهدي الإسلام، وعاشوا في ريع الإيمان، الإيمان الّذي يجعلهم لا يخشَون إلّا الله سبحانه، وأنّ عدم امتثالهم لنصرة الحقّ هو الخوف من أهل الباطل وطغيانهم! وأنّ هذا خلاف ما أراده (الله الذي أمركم بقتالهم أحقّ أن تخشوه إذا خطر في نفوسكم خاطر عدم الامتثال لأمره، إن كنتم مؤمنين، لأنّ الإيمان يقتضي الخشية من الله وعدم التردّد في نجاح الامتثال له)(٧٨).

فمال القوم إلى الفتور والهنة مؤثرين السّلامة والنّعيم الزّائل على النّعيم المقيم؛ وهذا ما نلحظه في قولها عليها السلام: (ألّا قد أرى أنْ قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدَّعَة، ونجوتم من الضّيق بالسّعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الّذي تسوّغتم ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ

وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٧٩))، والمتبادر أنّ الآية الكريمة جاءت بمثابة تعقيب على موقف الكفّار العرب والحملة عليهم ممّا هو متّسق مع أسلوب سياق القصص القرآنيّة؛ فكفّار العرب انحرفوا عن الطّريق الحقّ فأرسل الله رسولًا منهم يخاطبهم بلغتهم ليهديهم إلى الرّشاد في الدّارين، ثمّ إنّ (شكرَهم وكفرَهم إنّما يعود نفعهما وضررهما عليهم وحدهم وأنّهم لو كفروا هم ومن في الأرض جميعًا لما أزعجوا الله الّذي هو غنيّ عن كلّ أحد والّذي هو محمود بذاته سواء شكره النّاس أم لم يشكروه)(٨٠)؛ فهو غير محتاج إليهم في كلتا الحالتين؛ سواء شكروا أم جحدوا ولكنّه توعّد أنْ يجزيَ النّاس بأعمالهم وما انطوت عليه النّفوس يوم الحساب، وفي كلامها عليها السلام إشارة إلى خلعهم بيعة الإمام عليّ وأنّ هذا الخروج عن بيعة الإمام عليّ عليه السلام لا يضرّ أمير المؤمنين عليه السلام إنّما ضرُّه عليكم كما أنّ كُفرَكم وبالُه عليكم.

فالنّفوس المريضة الّتي نصرت الباطل عندما خذلت الحقّ؛ فإنّ موعدها نار تصل إلى تلك القلوب الخاوية، فتقول عليها السلام: (ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّي الخذلة الّتي خامرتكم، والغدرة الّتي استشعرتها قلوبكم ولكنّها فيضة النّفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا، وبثّة الصّدور، وتقدُمة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها، دبرة الظّهر، نقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة ﴿بنَارِ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾(٨١). فنلحظ هنا أنّ الآية الّتي استشهدت بها السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام لها أثرها

في المنسجم مع ما قدمّته عليها السلام من خصائص نفوس القوم وما خالج صدورهم من غدر وغيظ لا يمكن أنْ يراه الإنسان بعينه المجرّدة، والعقاب الظّاهر لا يَمَسّ عادة نفس الإنسان، وكثير من الآيات الّتي تهدّد بالعذاب بالنّار وأنّها تحرق جلد الإنسان، ولكن وقع هذه الآية أكثر تناغمًا في عقابها فهذه النّار نار الله سبحانه تطّلع على الشّعور والفكر من الإنسان، وباطّلاعها على الأفئدة (تحرق باطن الإنسان كما تحرق ظاهره بخلاف النّار الدّنيويّة الّتي إنّما تحرق الظّاهر فقط)[٨٢].

الله سبحانه لا تخفى عليه خافية، وأنّه سبحانه عالم عليم بما هو كائن وما سيكون وما كان، وأنّ الأمور فلاحها في خاتمتها، ومقدّمة الأمور هي نتائجها وأنّ نتيجة الظّلم هو الخسران المبين، قالت عليها السلام: (فبعين الله ما تفعلون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٨٣])، فهي عليها السلام توعد القوم بسوء النّتيجة لأنّ المقدّمة واضحة الظّلم والطّغيان، وهكذا توعّد القرآن الكريم الظّالمين عمومًا بـ(تهديد ووعيد بسوء العاقبة لكلّ من طغى وبغى[٨٤].

بعد أنْ وضّحت السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام مآل القوم البائس جرّاء ظلمهم إيّاها؛ وهم يحسبون أنّهم بخسارتها لقضيّتها عليها السلام قد خسرت حقّها وأنّهم في مأمن وركن شديد لمّا أقبلت عليهم الدّنيا، عاودت تذكيرهم وإنذارهم؛ فقالت عليها السلام: (وأنا ابنة نذير لكم بين يدَي عذابٍ شديدٍ ﴿اعْمَلُوا

عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ، وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[٨٥])، فلا يغرّنكم طغيانكم وفرحكم ما ألمَّ بنا، بل (ستعلمون من الّذي سينتصر، انتظروا هزيمتنا كما تزعمون انتظارًا غير مُجدٍ، ونحن ننتظر العذاب من الله عليكم، وهو ما ستذوقونه من قِبَلنا أو من قِبَل الله مباشرة)[٨٦] ثمّ سوف تعلمون لمن الغلبة وعلى مَن تدور دوائر السّوء فأنتم لأنفسكم تمهّدون.

تاسعًا: إنّ كُلَّ هذا العناد من القوم والخوض في الباطل رغم وضوح أحكام الدّين وشرائع القرآن الكريم إنّما هو إطاعة هوى النّفس وحياكة مؤامرة عظمى على مسار المنظومة الإسلاميّة وقيمها، وإن استحكم الجهل وكانت الدّسائس سمة الآخر؛ إذ لا ينفع وعظ ولا تذكير فإنّ الصّبر الجميل المجرّد من الجزع حينها أولى من ضياع الأجر والوقت والنّتيجة.

فالصّبر الجميل موجب للإثابة من عند الله تعإلى؛ وهو هنا الأقدر على ردّ باطلكم وافترائكم الّذي زعمتموه من عند أنفسكم، قالت عليها السلام: (فبيَّن عزّ وجلّ فيما وزع عليه من الأقساط[٨٧]، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذُّكران والإناث، ما أزاح علّة المبطلين، وأزال التّظنّي والشّبهات في الغابرين، كلا ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[٨٨]؛ فالّذي أضمره القوم أعظم من الّذي ادّعوه من خوف الفتنة، وأنّ الصّبر هنا أحجا وواقع الحال يدعو إلى عدم الضّغط في غير روية أو الدّخول معكم في التّفاصيل؛ لأنّهم يُريدون الإطاحة بقيم السّماء

وإطفاء نور الله تعالى في قرآنه وأهل بيته عليهم السلام، ولا يُمكن أنْ تعطيَهم عليها السلام الذّريعة في ذلك، وأنّ اللّجوء إلى الله سبحانه في تدبير عاقبة الأمور فهو يُعين المظلومين على (مواجهة الفواجع والكوارث بالصّبر والتّسليم والثّقة بما عند الله من آفاق الأمل ووسائل الفرج، وهو الّذي يكشف الحقيقة الّتي عملتم على إخفائها، وهو الّذي يهيِّئ لي الوسائل الكفيلة بإيصالي إلى النّتائج الطّيّبة الّتي تحلّ المشكلة على أفضل وجه)[٨٩].

عاشرًا: وموقف الصّبر الجميل من الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام ليس هروبًا من الواقع وليس خذلانًا للحقّ، وإنّما لمّا اتّضح أنّ القوم بين مسارع في الباطل أو قارّ له بعدم نكرانه؛ وكلّ ذلك لسوء السّريرة وغشاوة القلب عن الحقّ وبُعدهم عن تعاليم السّماء المتمثّلة في نصوص القرآن الكريم، فقالت عليها السلام: (معاشرَ النّاس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية[٩٠] على الفعل القبيح الخاسر، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٩١]، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٩٢]، ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم، وساء به ما أشرتم، وشرّ ما منه اعتضتم[٩٣]).

فإذا علمنا أنّ من أكثر الصّوارف عن فهم القرآن الكريم والوصول إلى معانيه أنْ يكونَ "القلب" وهو محلّ العقل والفهم والتّدبّر والوعي غائبًا أو مريضًا؛ لأنّه المزرعة الّتي ينمو فيها الفهم والبوتقة الّتي يكتمل بها العلم وقد وصفه الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه خير ما يرزق به العبد، فقال: (ما قسم الله للعباد شيئًا

أفضل من العقل)[٩٤]، وقال الإمام جعفر الصّادق عليه السلام: (إنّ الثّواب على قدر العقل)[٩٥]، والسّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام تصف القوم بأنّ قلوبهم فيها رَين عن فهم نصوص الذّكر الحكيم، وإنْ كانوا ممّن عاصر نزول القرآن الكريم أو ممّن صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فالقرآن الكريم ذاته قد صوّر حال قوم سمّاعين للوحي، معايشين للنّبوّة لكنّهم غائبو القلب بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٩٦]، وقد تعهّد تعالى بصرف مرضى القلوب عن فهم آياته وتدبّر كلماته؛ فقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٩٧].

وصرف الله تعالى لهؤلاء المتكبّرين عن فهم آيات القرآن الكريم وتدبّر عطاءاته ليس ظلمًا لهؤلاء، بل هم البادئون للبُعد عن هدايات الله تعالى، وقد وصفهم الله سبحانه بأنّهم إنْ رأوا سبيل الرّشد لا يتّخذوه سبيلًا وإنْ رأوا سبيل الغيّ اتّخذوه سبيلًا وبأنّهم كذّبوا بآيات الله وكانوا عنها غافلين، وأنّ ذلك ليس إلّا جزاء لهم عمّا كانوا يعملون وكذلك كلّ الآيات الّتي تناولت هذه الأوصاف مثل الختم والطّبع والأكنّة ونحو ذلك تدلّ على أنّهم هم

البادئون للإعراض عن هدايات السّماء وعطاءات القرآن الكريم، فكان الأَولى من القوم أنْ لا يفهموا قول السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام وأنْ يُعرِضوا عن التّدبّر فيما أقامته من حجج دامغة، وكذلك لِمَا بدر منهم من هضم حقّها وغصب إرثها.

والنّتيجة الحتميّة لكلّ هذا العناد في الغيّ والابتعاد عن تعاليم السّماء والرّكون إلى الدّنيا هو الخسران الأعظم والعذاب الشّديد يوم الحساب لِمَا تجاهلوه من حقّ الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام وأغلقوا آذانهم وأعموا عيونهم عن ظلامتها، فقالت عليها السلام: (لتجدَنّ والله محمله ثقيلًا، وغبه وبيلًا، إذا كشف لكم الغطاء وبانَ ما وراءه الضّرّاء، وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٩٨])، نعم !أيُّ جزاء سواء أكان عقابًا أم إحسانًا لا يمكن أنْ نعدّه بالرّبح أو الخسارة، فالدّنيا في كلّ أحوالها زائلة، ولهذا كانت الإشارة الحتميّة من السّيّدة الزّهراء عليها السلام إلى يوم عظيم رهيب؛ وهو (أسوأ يوم على المبطلين وأسعده على المحقّين)[٩٩] الّذين يتحاكمون إلى محكمة العدالة الإلهيّة والجزاء الرّبّانيّ الّذي لا يضاهيه جزاء؛ سواء للمحقّين بالإحسان والنّعيم المقيم أم العذاب الشّديد للمبطلين الخائنين، وكلّ ذلك لما غفلوه من إقامة الحجّة وتجاهلهم للباطل وخذلانهم للحقّ؛ فكانت النّتيجة أنْ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾[١٠٠].

المطلب الثّاني: الأثر القرآنيّ المتضمّن في خطبة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام

بعد تتبّع الأثر القرآنيّ الظّاهر في خطبة الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام في المطلب الأوّل، يعمد الباحث في هذا المطلب إلى تتبّع الأثر القرآنيّ المتضمّن في حوايا الخطبة الشّريفة، وعلى النّحو الآتي:

أوّلًا: عدم إلقاء تحيّة الإسلام (السّلام عليكم): أوّل ما يلفت النّظر في الأثر القرآنيّ المتضمّن في خطبة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام هو عدم البَدء بالسّلام عند مستهلّ الخطبة الشّريفة؟!

إذ إنّ من المعلوم أنّ إلقاء تحيّة الإسلام مستحبّة وردها واجب في الشّريعة الإسلاميّة، ويبدو أنّ سبب انتفاء (تحيّة الإسلام) في الخطبة الشّريفة أنّ السّيّدة الجليلة ليست في محلّ للمجاملات والدّبلوماسيات، فهم قوم قد انحازوا عن الصّراط المستقيم، فخلافها معهم خلاف عقديّ، وفي أصل من أصول الدّين وهو أصل الإمامة(١٠١).

كما أنّ هناك إشارةً لا تَخفى على ذي عقل أنّ السّيّدة الزّهراء عليها السلام أرادت أنْ توضّحَ لهم وللأجيال نقمتها عليهم، لما بدر منهم من موقف إجراميّ عدائيّ؛ فهي تقف أمام قوم اعتدَوا على حقّها وتسلّطوا على رقاب النّاس من غير حقّ شرعيّ(١٠٢).

وكذلك يبدو للباحث أنّ جوهر الخطبة الشّريفة للسّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام هو الاحتجاج والمحاكمة والتّهديد والإنذار والتّحذير من عواقب نكوصهم عن جادّة الصّواب، وخذلانهم للحقّ وأهله، وعندئذٍ لا معنى أنْ تستهلَّ كلامها الشّريف بقول: (السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته)؛ فهذه المعاني الموجودة في تحيّة الإسلام من (السّلام) و(الرّحمة) و(البركة) لا تنسجم إطلاقًا مع مضامين الخطبة الشّريفة وأهدافها.

وهذا بطبيعته أثر قرآنيّ بامتياز في خطبة السّيّدة الجليلة، وشاهده هو ما نلحظه في سورة براءة (التّوبة) الّتي لم تستهلَّ بقول: (بسم الله الرّحمن الرّحيم)؛ إذ إنّ البسملة تحتوي على صفة الرّحمة والأمان، وسورة التّوبة يستهلّ الله عزّ وجلّ بدايتها بالبراءة من المشركين، فقال سبحانه: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٠٣]؛ فدلّ هذا على غضبه ومقته سبحانه عليهم، فلا ينسجم حينذاك ذكر الرّحمة مع الغضب والبراءة من أعمالهم، وما يدلّ على ذلك ما روي عن ابن عباس؛ قال: (سألت عليّ بن أبي طالب عليه السلام لِمَ لَمْ تُكتب في براءة بسم الله الرّحمن الرّحيم؟ قال: لأنّها أمان، وبراءة نزلت بالسّيف ليس فيها أمان)[١٠٤].

وفي تأكيد هذا المعنى يقول الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي: (لِمْ لَمْ تبدأ هذه السّورة بالبسملة؟ يجيب استهلال السّورة على السّؤال آنف الذّكر فقد بُدِئت

بالبراءة – من قبل الله – من المشركين، وإعلان الحرب عليهم، واتّباع أسلوب شديد لمواجهتهم، وبيان غضب الله عليهم، وكلّ ذلك لا يتناسب والبسملة بسم الله الرّحمن الرّحيم الدّالّة على الصّفاء والصّدق والسّلام والحبّ، والكاشفة عن صفة الرّحمة واللّطف الإلهيّ)[١٠٥].

ثانيًا: في شكر النّعم: قالت السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام: (.. الحمد لله على ما أنعم، وله الشّكر على ما ألهم، والثّناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وإحسان منن والاها..)، في مطلع الخطبة الشّريفة نلحظ الاستهلال الإيقاعيّ الفنّيّ، فتدور (معاني مفردات فواصل وقفها على ذات المحمود المشكور المنعم الملهم المقدِّم...، وقد اعتمد هذا الاستهلال على ركنين أساسين؛ هما: الإيقاع والدّلالة، وبهما يُستجلَب ذهن المخاطب نحو استقبال النّصّ)[١٠٦]، والّذي يعنينا من نصّ الزّهراء عليها السلام هنا هو الأثر القرآنيّ في مضمونه؛ فكلّ معاني مفردات أنعم، وألهم، وقدّم، ابتدأها، وأسداها، ووالاها..، معانٍ نابعة من مضامينَ قرآنيّةٍ.

فشكر الله وحمده على ما أنعم من المعاني القرآنيّة الّتي فاضت بها آيات الكتاب العزيز، وهذا الأمر أيضًا من أدب الأنبياء عليهم السلام وسلوكهم العرفانيّ مع الله سبحانه؛ فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام يصفه القرآن الكريم بأنّه كان: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١٠٧]، فهو عليه السلام

بهذا الشّكر قد انماز عن غيره من الّذين يجحدون أنعم الله عليهم، ناكرين أيّها بالقول والعمل؛ لأنّ شكره لله تعالى كان (بالقول والعمل، لا كهؤلاء المشركين الّذين يجحدون نعمة الله قولًا، ويكفرونها عملًا)[١٠٨]، وكذلك ما ذكره القرآن الكريم عن نبيّ الله نوح عليه السلام الّذي كان شاكرًا لله سبحانه، ويذكر الله تعالى شكره بصيغة المبالغة بمعنًى كثير الشّكر؛ قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[١٠٩]، والظّاهر أنّ السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام لها بُعدٌ آخرُ غير ما تقدّم من الاستهلال في خطبتها، فهي عليها السلام أرادت من القوم تذكيرهم بشكر الله وذكر إحسانه وما علّمهم الله عليه من أداء شكر أنعمه، كما خاطبت هذه الآية (بني إسرائيل بأنّهم أولاد مَن كان مع نوح عليه السلام، وعليهم أنْ يقتدوا ببرنامج أسلافهم وآبائهم في الشّكر لأنعم الله)[١١٠].

ومن المعلوم أنّ الله سبحانه قد دعا عباده إلى شكر نعمه، ولكن ليس من باب الحاجة إليه، بل ليكتسبَ العباد بالشّكر لياقة أكبر ودرجة أعلى وعندئذٍ تشملهم نعمٌ أوفرُ.

وفي المضمون ذاته نلحظ الأثر القرآنيّ في كلامها عليها السلام؛ إذ قالت عليها السلام: (.. جَمَّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشّكر لاتّصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالنّدب إلى أمثالها)، وهذه المعاني واضحة في الآيات القرآنيّة، فنعم الله

تعالى ممّا لا تُعَدّ بأرقام أو تحديدها بجوانبَ دون أخرى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(١١١)؛ فهذه الآية الكريمة تُنبِّه على أنّ (ما آتاهم الله كثير منه معلوم وكثير منه لا يحيطون بعلمه أو لا يتذكرونه عند إرادة تَعداد النّعم)(١١٢).

فالشّكر للنّعم الّتي لا تحصى هو تربية للإنسان تُجاه المنعم عليه سبحانه، وفي هذا الشّكر نلحظ فوائدَ أخرى منها دفع العذاب وزيادة النّعم علينا، قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾(١١٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(١١٤)، وفي الحثّ على الزّيادة وهو الظّاهر من الآية المتقدّمة نلحظه في قول الصّدّيقة عليها السلام: (وندبهم لاستزادتها بالشّكر لاتّصالها)، فيتجلّى لنا أهمّيّة الشّكر وأثر المضمون القرآنيّ الّذي عنته السّيّدة الزّهراء عليها السلام في مستهلّ خطبتها.

ثالثًا: الإخلاص تأويل توحيد الله تعالى: من تجلّيات الألوهيّة لله تعالى هو توحيده وعدم إشراك أحدٍ معه، وهكذا هي دعوة الأنبياء عليهم السلام ورسالاتهم، وهكذا وضّحت نصوص آي الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾(١١٥)، وقال تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(١١٦).

وهذه العبادة الّتي أرادها الله عزّ وجلّ من عباده هو عدم الشّرك به، وهو التّوحيد المبنيّ على الإخلاص، فيكون الإخلاص أساس دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[١١٧]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[١١٨]؛ فالقرآن الكريم كأنّما حصر أوامر الله لعباده في الإخلاصِ له؛ لأنّه الأساس والرّكن والرّكين، وهذا المضمون نلحظه في خطبة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام؛ إذ قالت: (وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمّن القلوب موصولها، وأنار في التّفكير معقولها. الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيّته)، ويوضح الشّيخ المجلسيّ(ت١١١١هـ) معنى الإخلاص هنا، فيقول: (المراد بالإخلاص جعل الأعمال كلّها خالصّة لله تعالى، وعدم شَوب الرّياء والأغراض الفاسدة، وعدم التّوسّل بغير الله تعالى في شيء من الأمور؛ فهذا تأويل كلمة التّوحيد؛ لأنّ من أيقن بأنّه الخالق والمدير، وبأنّه لا شريك له في الإلهيّة، فحقّ له أنْ لا يشركَ في العبادة غيره، ولا يتوجّه في شيء من الأمور إلى غيره)[١١٩].

ولهذا المعنى ذهب الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي؛ فقال: (الإخلاص روح التّوحيد، وتطهير الرّوح من دَنس الشّرك بالله، ومنح القلب كرهينة لحبّه، والخضوع والخنوع لأمره)[١٢٠]؛ فالإخلاصُ الّذي أشارت إليه السّيّدة فاطمة

الزّهراء عليها السلام هو الإخلاص ذاته الّذي عنته آيات القرآن الكريم، في أنّه تصفية القلب من الشّوائب الّتي تكدِّر النيّة، وتعكِّر صفاء القلب، والإخلاص تطهيرٌ للقلب من التّعلّقِ بغير الله عزّ وجلّ، وبه تسمو النّفوس، وترتفع عن نظرات النّاس وإعجابهم؛ فالمخلص لله سبحانه وتعالى لا ينتظر من النّاس حمدًا ولا شكورًا، ولا ينتظر مدحًا ولا ثناءً؛ لأنّ نفسه لا تتوق إلّا لمرضاة الله جلّ وعلا، والوصول إلى مغفرته وعفوه.

رابعًا: ابتداع الخلق لحكمه: لا يليق به سبحانه أنْ يخلقَنا عبثًا بلا هدف؟ وهل يليق به أنْ يخلقَ سماوات وأرضين، ومجرّات وكواكب، وشمسًا، وقمرًا، ونجومًا، وليلًا ونهارًا، ثمّ تكون حياتنا قصيرة لا تزيد عن ستّين سنة نصفها في الإعداد لها إلى أنْ يستطيع الإنسان الزّواج والسّكنى في بيت مستقلّ وتأمين حاجاته في الثّلاثينات أو في الأربعينات، الآن أصبح في الخامسة والخمسين فحصل له أزمة قلبيّة، أيعقل أنْ يكونَ كلّ هذا الكون لأجل سنوات معدودة أيقبله عاقل؟ لِمَ خلقنا الله عزّ وجلّ؟ لا بدّ من هدف يتناسب مع كماله، ولا بدّ من هدف يتناسب مع جلاله، ولا بدّ من هدف يتناسب مع قوّته وهو القويّ؛ ولذلك فربُّنا عزّ وجلّ أجاب عن هذا السّؤال في آيتين واضحتين وفي آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١٢١]، فالآية تخبر البشريّة أنّ لها موعدًا عظيمًا يمرّ بسلسلة من العقبات، فـ(تحسّركم عند معاينة الموت ثمّ اللّبث في القبور ثمّ البعث

فالحساب والجزاء فهل تظنّون إنّما خلقناكم عبثًا تحيون وتموتون من غير غاية باقية في خلقكم وأنّكم إلينا لا ترجِعون؟)[١٢٢].

بل إنّ خلق الخليقة جميعًا من موجودات ناطقة وصامته له حكمة وغاية لا تَخفى على لبيب مؤمن بالله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[١٢٣]، وهنا نلحظ صيغة الاستنكار والتّوكيد و(التّسفيه لظنّ الكفّار بأنّ الله قد خلق السّماء والأرض وما بينهما باطلًا واطمئنانهم به واندفاعهم بتأثيره وراء الفساد والفجور، ثمّ معنى التّوكيد على مصيرهم الرّهيب يوم القيامة)[١٢٤].

وهذا الأثر القرآنيّ نلحظه في كلمات السّيّدة فاطمة عليها السلام؛ إذ قالت: (ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيّته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلّا تثبيتًا لحكمته، وتنبيهًا على طاعته، وإظهارًا لقدرته، تعبُّدًا لبريّته،...)؛ فالزّهراء عليها السلام تُضمِّن خطبتها مفاهيمَ قرآنيّةً جليلة تمثّل غاية الموجودات، وفلسفة الإيجاد من العدم، والعودة إلى عالم آخر، وبيان قدرته سبحانه في صنع مخلوقاته، الّذي قال: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[١٢٥]، وأنّ كلّ شيء ممّا يُرى وممّا لا يُرى يصدر منه جلّ في عُلاه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[١٢٦].

والمضمون ذاته نلحظه أيضًا في قول الإمام عليّ عليه السلام: (الواحد الأحد الصّمد الّذي لا يغيّره صروف الأزمان ولا يتكّأده صنع شيء كان، إنّما قال لما شاء: كن فكان، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب وكلّ صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق)[١٢٧].

إذن؛ الحكمة في خلق المخلوقات -كما لحظناه- من نصّ السّيّدة فاطمة عليها السلام هو للعمل الصّالح في الدّنيا، ثمّ العودة إلى الله تعالى للحساب والسّؤال عمّا عمله الإنسان في حياته هذه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[١٢٨]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[١٢٩]؛ فجميع المخلوقات من الذّرّة إلى العرش سُبل متّصلة إلى معرفته تعالى وحجج بالغة على أزليّته، والكون جميعه ألسن ناطقة بوحدانيّته، والعالم كلّه كتاب يقرأ حروف أشخاصه المتبصّرون على قدر بصائرهم؛ لأنّه يعرِف بها وحدانيّة خالقه ومليكه، وكماله سبحانه وتعالى، فيزداد حبّه وتعظيمه وإجلاله له، وتزداد طاعته وانقياده وخضوعه له، وهذه من أعظم ثمرات النّظر في المخلوقات وعلّة الوجود.

خامسًا: الثّواب والعقاب: هما وسيلة من وسائل التّربية الّتي يعتمدها القرآن الكريم لصيانة المجتمع من غوائل الانحراف والشّذوذ، لتأديب الجاني

وللتّرهيب من الجناية، ولحثّ المؤمن على أنْ يتمسّك بدينه ودفعه إلى الاستزادة من العمل الصّالح رغبة فيما عند ربّه ورجاء عفوه ومغفرته.

ففي التّرغيب في الثّواب يقول تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١٣٠)؛ إذ (إنّ أوّل خطوة على طريق النّجاة هي التّوبة والإقلاع عن الذّنب، التّوبة الّتي يكون هدفها رضا الله والخوف منه. التّوبة الخالصة من أيّ هدف آخر؛ كالخوف من الآثار الاجتماعيّة والآثار الدّنيويّة للذّنوب. وأخيرًا التّوبة الّتي يفارق بها الإنسان الذّنب ويتركه إلى الأبد)(١٣١)، نعم! فالقرآن الكريم يبشِّر المؤمنين التّائبين بالنّجاة والفوز بالجنّة والنّعيم المقيم إنْ بادروا بالتّوبة؛ وهذا أسلوب ترغيبيّ واضح اعتمده الكتاب العزيز في أكثرَ من موضع في آياته الكريمة.

وفي مجال التّرهيب يقول سبحانه:﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١٣٢)؛ أيْ: مَن (أراد بعمله ثواب الدّنيا عجّل له الثّواب ولم ينقص شيئًا في الدّنيا،

وله في الآخرة العذاب لأنّه جرّد قصده إلى الدّنيا)[١٣٣]، وهنا تهديد ووعيد لِلَّذين يركنون للحياة الدّنيا دون الآخرة، وما هذا التّحذير إلّا لتنبيه الإنسان من غفلته.

وهذا الأثر القرآنيّ في التّرغيب والتّرهيب نلحظه واضحًا جليًّا في الخطبة الجليلة للسّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام إذ قالت: (ثمّ جعل الثّواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده عن نقمته، وحياشة[١٣٤] لهم إلى جنّته)[١٣٥]؛ إذ إنّ السّيّدة فاطمة عليها السلام تقرّر هنا أنّ الله سبحانه وضع الثّواب قبال الطّاعة، والعقاب قبال المعصية؛ وهذا هو جوهر آيات القرآن الكريم في استعمال التّرغيب للطّاعة والتّرهيب من المعصية، ثمّ تذكر السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام علّة هذا التّرغيب والتّرهيب، وأنّ مكمنه يصبّ في صالح الإنسان ولا نفع للباري له فيه إلّا رحمة لعباد؛ فالتّرهيب عاملُ زجْرٍ عن التّعرّض لغضبه واستحقاق ناره، والتّرغيب في حقيقته هو وسيلة دفع لهم نحو جنانه ونيل رضاه.

ومن ذلك ما نلحظه في سورة النّبأ من مقابلة بين ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين؛ يقول عزّ وجلّ في العقاب: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا، لِلطَّاغِينَ مَآبًا، لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا، جَزَاءً وِفَاقًا، إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا، وَكُلَّ شَيْءٍ

أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا، فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[١٣٦]، وفي التّرغيب على الإيمان والتّقوى قال سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا، وَكَأْسًا دِهَاقًا، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا، جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾[١٣٧].

وأسلوب التّرغيب والتّرهيب حافلة به الآيات القرآنيّة الّتي حملت في ثناياها الثّواب وأخرى تحمل العقاب؛ لتكونَ النّفوس بين هاتين الوسيلتين تتأرجح إنْ مالت النّفس إلى الدَّعَة والخمول والكسل قرّعتها آيات العذاب والعقاب، وإنْ أقبلت على خالقها ونشطت في طاعته سمعت آيات الوعد والثّواب فزادت نشاطًا ورغبة في ذلك.

سادسًا: النّبيّ محمّد ﷺ عبد الله ورسوله: وصف الله رسوله الكريم بكثير من الصّفات الحميدة في القرآن الكريم، ولكن هناك صفات لها خصوصيّة؛ منها: صفة العبوديّة وصفة الرّسول، فالصّفة الأولى نلحظها على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١٣٨]، ومكمن هذا الوصف الشّريف للنّبيّ الخاتم ﷺ هو (للإيحاء بالعمق الرّوحيّ الّذي يعيشه في خضوعه لله، وإحساسه بعبوديّته له في وعيه المنفتح على سرّ الألوهيّة في رحاب العظمة، وإخلاصه لدوره الرّساليّ في خدمة الرّسالة، واستغراقه في الامتثال لإرادة الله في ما يأمر به وما ينهى عنه)[١٣٩].

والصّفة الأخرى هي صفة الرّسول؛ فقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(١٤٠)، وهنا نلحظ تعظيمًا من الله سبحانه لنبيّه الخاتم ﷺ باللّفظ المناسب في سياق الآية الكريمة(١٤١).

وهذا الأثر القرآنيّ كان حاضرًا في خطبة السّيّدة الزّهراء عليها السلام؛ إذ جمعت الصّفتين في تعبيرها عن النّبيّ الخاتم ﷺ فقالت: (وأشهدُ أنّ أبي محمّدًا عبده ورسوله)، فنلحظ أنّها عليها السلام تؤكّد هاتين الصّفتين لبيان شرف النّبيّ ﷺ وجليل مقامه عند الباري عزّ وجلّ، وكذلك لتلفت انتباه السّامعين إلى مقامها النّاتج عن صلتها الوثيقة بشخص النّبيّ ﷺ في أنّها ابنته وامتداده الطّبيعيّ.

سابعًا: الرّسول محمّد ﷺ نبيّ قبل إيجاده: من مقامات النّبيّ الخاتم ﷺ أنّ الله عزّ وجلّ اختاره للنّبوّة قبل أنْ يبعثَه؛ بل قبل أنْ يوجِدَه في عالم الدّنيا، وهنا تسطّر السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام هذه المنقبة الكبيرة والمقام العظيم لأبيها سيّد المرسلين، فقالت: (اختاره قبل أنْ يجتبلَه(١٤٢)، واصطفاه قبل أنْ يبتعثَه، وسمّاه قبل أنْ يستنجبَه(١٤٣)؛ إذ الخلائق في الغيب مكنونة، وبسدّ الأوهام مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علمًا من الله في غامض الأمور، وإحاطة من وراء حادثة الدّهور، ومعرفة بمواقع المقدور)(١٤٤).

وهذا المعنى الّذي عنته السّيّدة الزّهراء عليها السلام لم يكن إلّا من جرّاء أثر القرآن الكريم في فكرها الشّريف؛ فالقرآن الكريم أشار في أكثرَ من موضع في آياته

الشّريفة إلى مقامات النّبيّ الخاتم ﷺ ومن هذه المقامات مقام الاصطفاء والاختيار لمنصب النّبوّة قبل إيجاده في الدّنيا ما ورد عند النّصارى (المسيح) من ذكره ووصفه ومكان بعثته؛ فضلًا عن خاتم النّبوّة في ظهره، وهجرته، وقد بشّر به النّبيّ عيسى عليه السلام في الكتب السّماويّة الّتي سبقت القرآن الكريم، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(١٤٥)، والمتأمّل في هذه (الصّلة بين البشارة وتكامل الدّين؛ إنّ التّعبير بـ (البشارة) عن إخبار المسيح (عليه السلام) بظهور الإسلام إشارة رائعة إلى تكامل هذا الدّين قياسًا لما سبقه من الأديان، إنّ دراسة الآيات القرآنيّة والتّعاليم الإسلاميّة في مجال العقائد والأحكام والقوانين والمسائل الاجتماعيّة والأخلاقيّة، ومقارنتها بما جاء في كتب العهدين(التّوراة والإنجيل) توضّح لنا هذه الأفضليّة، وتبيّن لنا بجلاء حالة التّكامل المبدئيّ الّذي جاءت به رسالة محمّد (ﷺ))(١٤٦).

بل إنَّ هذه الأفضليّة والبشارة بالتّكامل الدّينيّ يكون على يد نبيّنا الخاتم ﷺ كان عند اليهود من قبل النّصارى؛ إذ انتظروا ظهور نبيٍّ بعد النّبيّ موسى عليه السلام، وكانوا يُبشّرون به(١٤٧)، وأجمعت الأمّة على أنّ المُراد بدعوة النّبيّ إبراهيم عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو

عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١٤٨]، هو نبيّنا الخاتم محمّد ﷺ.

وفي سُنّة المعصوم عليه السلام هناك نصوص متكاثرة تدور حول أنّ الله تعالى خلق نور نبيّنا ﷺ قبل خلق الخلق، ومنه قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: (إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد ﷺ قبل أنْ خلق السّماوات والأرض والعرش والكرسيّ واللّوح والقلم والجنّة والنّار، وقبل أنْ خَلَقَ آدم ونوحًا وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى)[١٤٩].

ومن كلّ ما تقدّم نلحظ (عظمة خصائص النّبوّة المحمّديّة، وعلى أنّه أعظم النّاس طرًّا، بل أعظم عظماء التّأريخ ومن أبرز عظماء التّأريخ هم الأنبياء قاطبة)[١٥٠]، وإشارة السّيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام إلى خصيصة اختيار النّبيّ محمّد ﷺ قبل الإيجاد في عالم الدّنيا وأثره القرآنيّ في فكرها الشّريف هو ممّا يعزّز مقامه الرّفيع وشأنه السّامق على المخلوقات كافّة، وهو كذلك بيان لمقامها الشّريف من شخص النّبيّ ﷺ، ومن كلّ ذلك هو في حقيقته تذكير للنّاس بالنّبوّة وشأنها وبشخص صاحب النّبوّة ومقامه وبشخصيّتها الّتي أتحفها النّبيّ الخاتم ﷺ بالكرامة والاحترام ممّا يدلّ على مقام شخصيّتها الدّينيّة الرّفيعة.

ثامنًا: حال النّاس في الانحراف العقديّ: من أخطر الانحرافات الّتي تصيب الإنسان الفرد والجماعة هو الانحراف الفكريّ العقائديّ؛ إذ إنّ سرّ

خطورة هذا الانحراف أنّه لا يقف على حدود العقل والوجدان فحسب؛ بل يتعدّاه بالضّرورة إلى الانحراف السّلوكيّ، بمعنى أنّ السّبب الرّئيس لوجود الانحراف السّلوكيّ للإنسان الفرد والجماعة هو الانحراف الفكريّ العقائديّ الّذي بدوره يوجّه بالنّتيجة السّلوك (قولًا وفعلًا).

وذلك أنّ أصحاب الفكر العقديّ المنحرف يؤمنون بأنّهم يمتلكون (الحقيقة المطلقة وتعذّر تعايشهم مع الآخرين، وتضيق صدورهم بالرّأي المخالف إلى الحدّ الّذي قد يدعوهم إلى استبعاد صاحبه وتصفيته جسديًّا وفكريًّا)[١٥١]، ومن خطورة هذا الانحراف العقديّ أنّه داء يستشري إلى الآخرين من أفراد ومجتمعات، وهذا كان مكمن تحذير القرآن الكريم منه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[١٥٢]؛ فهؤلاء المنحرفون دينيًّا يتاجرون به، ويضلّون الآخرين مبتعدين عن الاعتدال القويم[١٥٣].

وهذا الخطر الّذي أشار إليه القرآن الكريم كان حاضرًا في فكر السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام، وصرّحت به في خطبتها الشّريفة لأهمّيّته الكبرى وأثره العظيم؛ فقالت وهي في معرِض أجواء البيئة قبل البعثة: (فرأى الأمم فرقًا في أديانها، عكفًا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها)[١٥٤]؛ فالنّاس أبان البعثة الشّريفة للنّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم في طرائقَ عدّة في أديانهم، وانحراف

واضح في عقائدهم، مشركين بالله عزّ وجلّ؛ داعين إلى الضّلال طَوال مسيرتهم الانحرافيّة.

وهذا التّعدّد في صور الأديان عند النّاس بطبيعته يُعَدّ من أهمّ عوامل الجمود الفكريّ والتّخلّف الحضاريّ والعلميّ؛ إذ الفرق واضح بين مَن إلهه مظهر الفقر والجهل والعجز، ومَن إلهه مظهر الكمال والغنى والعلم المطلق؛ وذلك حال من يتّخذ مقتداه وإمامه شخصًا سفيهًا أو حكيمًا، مستبدًّا أو استشاريًّا، قاسيًا أو رحيمًا، ظالمًا أو عادلًا؛ فإنّ هذا الاتّخاذ يؤثّر بقدر كبير في طبيعته وبتربية الفرد الاجتماعيّة.

ويبدو للباحث أنّ هناك أمرًا آخرَ ألمحت إليه السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام من ذكر هذه الطّرائق في الأديان والانحراف العقديّ هو للتّذكير بحرمة التّفرّق عن الحقّ بعد استشهاد النّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(١٥٥)، ومعنى ذلك (أنّ الله تبارك وتعالى علم أنّهم سيفترقون بعد نبيّهم ويختلفون فنهاهم عن التّفرّق كما نهى من كان قبلهم فأمرهم أنْ يجتمعوا على ولاية آل محمّد (عليهم السّلام) ولا يتفرّقوا)(١٥٦).

وأنّ الحقّ الّذي هو من قواعد الدّين، وأهمّها الاعتصام بوصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالالتزام بنهج أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في كونه خليفته والدّالّ على الحقّ من بعده؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيثما دار)(١٥٧).

ويمكن الاستدلال على حرمة النّزاع والتّفرقة بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[١٥٨]، وبدليل العقل الآتي على ذلك وعلى حرمة التّنازع والاختلاف ما هو في الجملة؛ أيْ: فيما إذا سبّب ما لا يجوز من الفشل وذهاب الرّيح.

وهل يحرم النّزاع إذا كان أحد الطّرفين أو الأطراف ذا حقّ شخصيّ أو شبهه؟ الظّاهر عدم ذلك بالنّسبة إلى المحقّ؛ ولا سيّما إذا كان ضرر التّخلّي عن حقّه أكثر من ضرر التّنازع، أمّا إذا انعكس الأمر كما لو تنازعا في دين أو شبهه من الحقوق فقد يؤدّي النّزاع – لو لم يتخلَّ ذو الحقّ عن حقّه – إلى سفك الدّماء وما شابه ذلك من الهتك، أو إلى ذهاب بيضة الإسلام بحيث تكون خسارتها أعظم ممّا يذهب من حقّه الحاليّ؛ فالمسألة حينئذٍ تكون من كلّيّ(الأهمّ والمهمّ)، ثمّ إنّ الآية تشمل المنازع غير المحقّ مطلقًا.

هذا إضافةً إلى دلالة العقل على أنّ الاجتماع قوّة للحقّ والإسلام والتّفرقة ضعف للدّين والمبدأ، وسرّ تقدّم الأمم وتحطّمها هو ذلك؛ فإذا اجتمعت الأمّة على الحقّ سلمت وسَعِدت دنيا وأخرى وإلّا فلا.

وفي الحديث عن الإمام عليّ عليه السلام قال: (سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إنّ أمّة موسى عليه السلام افترقت بعده على إحدى وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية، وسبعون في النّار، وافترقت أمّة عيسى عليه السلام بعده على اثنتين وسبعين فرقة،

فرقة منها ناجية، وإحدى وسبعون في النّار، وإنّ أمّتي ستفترق بعدي على ثلاثة وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية واثنتان وسبعون في النّار)[١٥٩].

إلى غير ذلك من النّصوص الشّريفة الّتي كان لها أثرها الكبير في فكر السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام، فكان مضمونها هو المحور الرّئيس في الخطبة الفدكيّة ولا سيّما ما يتعلّق بإمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وتحذير النّاس من انحراف الاجتماع عليه عليه السلام، الّذي هو في حقيقته انحراف فكريّ وعقديّ وسبب للانحراف السّلوكيّ؛ إذ (إنّ تغيير الأفكار والاعتقاد والآراء يؤول إلى تغيير السّلوك بالحتميّة اللّازمة)، وهذا هو مضمون قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[١٦٠]، والّذي معناه أنّ تغيير الأحوال تبع لتغيير ما في الأنفس من معتقدات وأفكار وأخلاق.

تاسعًا: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النّور الهادي: لبعثة الأنبياء مهامّ عدّة؛ منها وأهمّها ومحورها هداية النّاس من الضّلال؛ ونبيّنا الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم سيّد الأنبياء والمرسلين ومهامّه أعظم شأنًا وأوسع بعدًا؛ فرسالته خاتمة الرّسالات ونبوّته نهاية مطاف بعثة الأنبياء، ووظيفته الرّساليّة هداية النّاس كافّة، والسّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام تذكر جملة من آثار بعثته الشّريفة وما حقّقته رسالته الخاتمة، فتقول: (فأنار الله بمحمّد ظُلَمَها، وفرّج عن القلوب بُهَمَها، وجلا عن الأبصار عُمَهَها، وعن الأنفس غُمَمَها)[١٦١].

فهذه المهامّ الرّساليّة الجسام الّتي كُلِّف بها النّبيّ الخاتم ﷺ قد منحه الله الحكيم استعداداتٍ ذاتيّةً لأدائها؛ فقد (أعطاه جوهرًا ممتازًا، ذكاء متوقّدًا، إرادة حديديّة، عزمًا راسخًا، وعلمًا وفيرًا وتشخيصًا صائبًا، وإلّا فلن يتمكّنَ شخص ضعيف من القيام بهذه الرّسالة الكبيرة وسينتفي غرضها)[١٦٢]، وعليه؛ فإنّ المتأمّل في النّصّ الشّريف للسّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام في مهامّ النّبيّ ﷺ يلحظ فيه أربعة أمور حقّقها الله تعالى ببعثة نبيّنا الخاتم ﷺ؛ وهي:

١. أنّ رسول الله ﷺ أنار الظّلام، وأيّ ظلام أسود كان مجتاحًا لجزيرة العرب، وأيّ حياة من البؤس والفساد عانته النّاس حتّى انجلت الظّلمة برسالة سيّد المرسلين ﷺ، ولعلّ نظرة سريعة في تأريخ العرب قبل الإسلام يكفينا عن الإطالة في فساد حالهم وظلام شؤونهم الاجتماعيّة والأسريّة[]، إضافة إلى ما وثّقه القرآن الكريم من حالهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[١٦٤].

٢. أنّ رسول الله ﷺ أزاح عن القلوب أقفالها: ويبدو هنا أنّ السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام تشير إلى النّقلة النّوعيّة للقيم والمبادئ الأخلاقيّة لأمّة العرب، لِمَا اتّصفوا به من السَّفَه والحميّة الجاهلة والغضب والمُفاخرة والأنفة

والعُنف والظّلم والطّغيان وتبرّج النّساء وغيرها من الصّفات الأخلاقيّة المذمومة السّائدة في جزيرة العرب الّتي طغت على قلوبهم فصارت جزءًا من حياتهم؛ فكلّ عمل غير منطقيّ وكلّ سلوك منحرف هو عمل جاهليّ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾(١٦٥)، وقد وثّق القرآن الكريم هذه الصّفات، ومنها ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾(١٦٦)، وقوله تعالى: ﴿ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيّة الأُولَى﴾(١٦٧)، وهنا دعوة إلى النّساء المسلمات أنْ لا يكثرنَ الخروج متجمّلات أو متطيّبات، كعادة أهل الجاهليّة الأولى، الّذين لا علم عندهم ولا دين؛ فكلّ هذا صيانة للقلوب ودفع لشرّ النّفس وغلق أسباب الفتنة(١٦٨).

٣. أنّ رسول الله ﷺ أزال عن الأبصار العمى: كان العصر الّذي زامن عصر البعثة النّبويّة عصرًا جاهليًّا بامتياز، فهو عصر تراكمت فيه كلّ أسباب تعطيل العقل، وإهمال التّفكير السّليم؛ فكانوا عاجزين كلَّ العجز من التّفكر المنطقيّ، ولا سيّما فيما يتعلّق بعلم العقيدة، فهم منقطعون عن أيّ صلة بالعلم، وهذا من أسباب هوانهم بين الأمم آنذاك؛ فالإنسان الّذي يريد أنْ يستعيدَ (إنسانيّته وكرامته، عليه أنْ ينقذَ العلم من الانقطاع عن الله عزّ وجلّ، وأنْ ينقذَ موضوع العلم الّذي هو الكون عن الانقطاع عن خالقه)(١٦٩)، وعليه كان القرآن الكريم شديد الحثّ عليهم في إعمال عقولهم في ما تشاهده أعينهم، ومن قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ

رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ، فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[١٧٠]، نعم! ليس مرامي هذه الآيات الكريمة وغيرها هو للتّأصيل العلميّ؛ بل هي دعوة للإنسان لاستخدام كامل طاقاته (العقليّة في مجال البحث العلميّ؛ وذلك ضمن الحدود المتاحة للبشر، وما ورد من الآيات إنّما ورد بقصد التّنبّه على ما في خلق العالم من آثار الإرادة والقدرة والعلم والحكمة والإتقان والاتّزان الدّالّة على وجود الله سبحانه، النّافية للتّكوين بالمصادفة)[١٧١].

٤. أنّ رسول الله ﷺ وضّح ما التبس على النّاس: موارد هذا الأمر متنوّعة؛ منها ما وضحه رسول الله ﷺ للنّاس فيما التبس عليهم من تعدّد الآلهة وغيره من الأمور العقائديّة والاجتماعيّة، ومنه ما كان قد التبس عليهم في فهم النّصّ القرآنيّ ومراميه، وهو جزء أساس من مهامّ النّبيّ الخاتم ﷺ الرّساليّة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٧٢]؛ أيْ: (أنزلنا عليك القرآن لتبيِّن تعاليمه ومفاهيمه، وتوقظ به الفكر الإنسانيّ ليسيروا في طريق الحقّ بعد شعورهم بالمسؤوليّة الملقاة على عاتقهم، وليتّجهوا صوب الكمال)[١٧٣]، وعليه.. أنّ من وظائف الرّسول الخاتم ﷺ هي إيضاح آيات القرآن الكريم، ورفع اللّبس والاشتباه عن معانيه[١٧٤].

والباحث المتابع يلحظ بوضوح أنّ العرب ما قبل الإسلام شيء وما بعده شيء آخر؛ وهم بهذا تأريخان على طرفَي نقيض؛ الأوّل: جاهليّ، والآخر: تأريخ علم ووحدانيّة وإنسانيّة وإيمان وخير، ويؤكّد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على تلك الأوضاع والأحوال في قوله: (أضاءت به البلاد بعد الضّلالة المظلمة، والجهالة الغالبة، والجفوة الجافية، والنّاس يستحلّون الحريم، ويستذلّون الحكيم، يحيون على فترة (على خلوّ من الشّرائع)، ويموتون على كفرة)[١٧٥].

ويضيف لنا جعفر بن أبي طالب (رضوان الله تعالى عليه) أحوال النّاس في مكّة قبل بعثة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيقول للنّجاشيّ ملك الحبشة: (أيّها الملك، إنّا كنّا قومًا في جاهليّة نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسِيء الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضّعيف، فكنّا على ذلك حتّى بعث الله عزّ وجلّ علينا رسولًا منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا عليه نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحسن التّجاور، والكفّ عن المحارم والدّماء، ونهانا عن سائر الفواحش، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أنْ نعبدَ الله لا نشرك به شيئًا، وبالصّلاة وبالزّكاة والصّيام)[١٧٦].

كان رسول الله ﷺ -إذًا- كما وصفته السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام وأكّده القرآن الكريم، وكذلك ما وضّحه الإمام عليّ عليه السلام، وليس بمستغرب ما صرّحت به السّيّدة الجليلة من وصف مهامّه بشكلها القرآنيّ؛ فما ذاك إلّا للأثر القرآنيّ في فكرها الشّريف الّذي نطق به بيانها السّاميّ.

عاشرًا: استشهاد النّبيّ الخاتم ﷺ رغبة في الدّار الآخرة: تذكر السّيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام أجواء قبض رسول الله ﷺ، وأنّ رحيله عن هذه الحياة الدّنيا كان رحمة من الله تعالى بالنّبيّ الخاتم ورأفة به عمّا أصابه ﷺ من تعب وعناء جرّاء عناد القوم، وأنّ اختيار الله عزّ وجلّ له كان بعد أنْ أتمَّ رسول الله ﷺ تبليغ رسالة السّماء، فقالت في ذلك عليها السلام: (ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفة ورحمة، واختيار ورغبة لمحمد عن تعب هذه الدّار، موضوعًا عنه أعباء الأوزار)[١٧٧]، وهنا نلحظ أنّ السّيّدة الجليلة تشير إلى أنّ قبْضَ النّبيّ الخاتم ﷺ فيه جملة من الأمور؛ منها:

١. أنّ القبض كان رأفةً ورحمةً بالنّبيّ ﷺ: معلوم أنّ النّبيّ الخاتم تعرّض لمعاناة شديدة عند تبليغ رسالة السّماء، وكان المخالفون من قومه يُسمِعونه الشّديدَ من القول القاسي، وكان ﷺ يتألّم من ذلك ألمًا تضيق به نفسه الكبيرة، وتضيق معه الحياة برحبها، ومنه ما وثّقه القرآن الكريم؛ فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[١٧٨]، وضيق الصّدر: كناية عن كدر النّفس، وتعرّضها للهموم والأحزان.

ولمّا كان نبيّنا الأكرم ﷺ لا يشتكي من النّاس ولا يبثّ حزنه وألمه، فإنّ القرآن المجيد يخبر النّبيّ ﷺ بعلم السّماء في (أنّ أقوال المشركين الباطلة فيك وفيما جئت به من عندنا، تحزن نفسك، وتكدر خاطرك)[١٧٩]، وهنا يبدو الأثر القرآنيّ واضحًا فيما عنته السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام من أنّ قبْض النّبيّ ﷺ كان خلاصًا من كلّ هذه المشقّة من جوار قوم لا يقدّرون مقام النّبيّ ﷺ فيهم.

٢. مقام النّبيّ ﷺ دار الآخرة لا الدّنيا: ثمّ تشير السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام إلى أنّ النّبيّ الخاتم ﷺ كان زاهدًا في هذه الحياة الدّنيا، وهو أزهد النّاس طرًّا فيها، وكانت رغبته إلى الآخرة؛ فما جعل للدّنيا له فيها مقرًّا ولا أنسًا من متاع، ومنه أنّ ذكر أحدهم حال قيصر وكسرى حين رأى النّبيّ ﷺ في حالة التّقشّف والزّهد، فقال له رسول الله ﷺ: (أولئك قوم عجلت طيّباتهم وهي وشيكة الانقطاع وإنّما أخّرت لنا طيّباتنا)[١٨٠]، ومنه أنّ النّبيّ ﷺ كان اختياره الآخرة دون سواها؛ إذ ورد أنّ ملك الموت (..، دخل وجلس عند رأس رسول الله، ثمّ قال: يا نبيَّ الله إنّي رسول الله إليك، قال: وأيُّ رسل الله أنت؟ قال: أنا ملك الموت، أرسلني إليك يخيِّرك بين لقائه والرّجوع إلى الدّنيا، فقال له النّبيّ ﷺ: فأمهلني حتّى ينزلَ جبرئيل فأستشيره، ونزل جبرئيل؛ فقال: يا رسول الله الآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربّك فترضى لقاء الله خير لك؛ فقال (عليه السلام): لقاء ربّي خير لي، فامضِ لِمَا أُمِرتَ به..)[١٨١].

على كلّ حال؛ فإنّ الأثر القرآنيّ هنا في فكر السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام يبدو في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(١٨٢)؛ فهذا المقام مقام تشريف وتعظيم للنّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الخلق، وهو منزل عظيم في الآخرة، ومن المعلوم أنّ عسى من الله سبحانه واجبة، ولعظيم مقام النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة؛ يقول الشّيخ الطّبرسيّ في تفسير الآية الكريمة: (معناه: يقيمك ربّك مقامًا محمودًا يحمدك فيه الأوّلون والآخرون، وهو مقام الشّفاعة، تشريف فيه على جميع الخلائق، تسأل فتعطى، وتشفَّع فتشفِّع. وقد أجمع المفسّرون على أنّ المقام المحمود هو مقام الشّفاعة؛ وهو المقام الّذي يشفِّع فيه للنّاس، وهو المقام الّذي يعطى فيه لواء الحمد، فيوضع في كفّه، ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة، فيكون صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل شافع، وأوّل مشفّع)(١٨٣).

٣. وضع أعباء الأوزار وكلفة العناء عنه صلى الله عليه وآله وسلم: هنا تشير السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام إلى أنّ استشهاد النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من عالم الدّنيا وانقطاعه عن تبليغ رسالة السّماء بعد أنْ أدّى ما عليه من جهاد التّنزيل والدّعوة إلى الله عزّ وجلّ، يكون قد وضع عنه الحمل الثّقيل؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾(١٨٤)؛ إذ إنّ المراد بالحمل هنا همّ النّبي وغمّه ممّا كان عليه قومه، فأزاح سبحانه هذا الغمّ والهمّ عن نبيّه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

ويبدو أنّ رفع هذا الهمّ والعناء عن كاهل رسول الله ﷺ كان بسبب (إنفاذ دعوته وإمضاء مجاهدته في الله بتوفيق الأسباب فإنّ الرّسالة والدّعوة وما يتفرّع على ذلك هي الثّقل الّذي حمله إثر شرح صدره)[١٨٥].

كان الأثر القرآنيّ -إذًا- واضحًا جليًّا في فكر السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام بما سطّرته من كلمات خطبتها الشّريفة، وأنّ ملخّص ما تقدّم من أقوال المفسّرين في أنّ النّبيّ الخاتم ﷺ لم تكن حياته في الدّنيا حياة راحة ودَعَة، وإنّما حياة قد امتزج بها الهمّ والغمّ والحزن المصحوب بالألم الشّديد جرّاء ما لاقاه من قومه من جحود ونكران لم تهدِّئ وتيرته إلى آخر أنفاسه الشّريفة في هذا الدّنيا، فكان أنْ قبضه الله عزّ وجلّ كما وصفته السّيّدة الصّدّيقة فاطمة الزّهراء عليها السلام.

الخاتمة:

بعد هذا الطّواف في محراب المعاني السّامية ما بين كلام السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام وآيات الكتاب العزيز وشروح المفسّرين نصل إلى نهايته لنسجّلَ الآتي:

١. أوّل استهلال للخطبة الشّريفة كان ناظرًا إلى معرفة الإبداع الإلهيّ في مخلوقاته، وبه يكون التّلازم المنطقيّ بين العلم والعمل؛ فالعمل نتيجة العلم والعلم مفتاح العمل.

٢. وضّحت السّيّدة الصّدّيقة عليها السلام في خطبتها مكانتها من الوحي، وسموّ مقامها عند صاحب الرّسالة، وبكلّ هذه المقدّمات تكون قد مهّدت إلى دفع الارتياب فيما سوف تقوله لمستمعيها من الصّحابة.

٣. أشارت السّيّدة الزّهراء عليها السلام إلى أنّ الفتنة الّتي وقع بها القوم هي اختلال الأمور وفساد الرّأي، ومن مخالفة النّصّ الحكيم واتّباع الأهواء.

٤. التّحذير الواضح من النّفاق والمنافقين، وأنّ هذا المرض الإجراميّ في حقيقته داء خطر يضيع الحقوق ويحرف البوصلة عن مرامها نحو النّجاة والسّلامة في الدّارين.

٥. حذّرت السّيّدة الزّهراء عليها السلام ومن قبل آيات الكتاب العزيز أنْ يقولَ المرء برأيه في قوانين الشّريعة الإسلاميّة مهما كان شأنه وبلغ من العلم مبلغًا قبال أحكام الله سبحانه المنصوصة.

٦. وموقف الصّبر الجميل من الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام ليس هروبًا من الواقع وليس خذلانًا للحقّ، وإنّما لمّا اتّضح أنّ القوم بين مسارع في الباطل أو قارّ له بعدم نكرانه.

٧. أنّ جوهر الخطبة الشّريفة للسّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام هو الاحتجاج والمحاكمة والتّهديد والإنذار والتّحذير من عواقب نكوصهم عن جادّة الصّواب.

٨. الحكمة في خلق المخلوقات كما لحظناه من نصّ السّيّدة فاطمة عليها السلام هو للعمل الصّالح في الدّنيا، ثمّ العودة إلى الله تعالى للحساب والسّؤال عمّا عمله الإنسان في حياته هذه.

٩. أنّ المتأمّل في النّصّ الشّريف للسّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام في مهامّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يلحظ فيه أربعة أمور حقّقها الله تعالى ببعثة النّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم؛ وهي أنار الظّلام، وأزاح عن القلوب الأقفال، وأزال عن الأبصار العمى، ووضّح ما التبس على النّاس.

١٠. كذلك في الخطبة الشّريفة حدّدت السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام موقفها من الأحداث الطّارئة والحادثة بعد استشهاد النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولا سيّما في ما يخصّ الخطّ الإسلاميّ المتمثّل بالإمامة؛ وهذه الإمامة متمثّلة بعليّ بن أبي طالب عليه السلام .

١١. اختصرت السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام في خطبتها الشّريفة، الّتي هي محاضرة إسلاميّة تثقيفيّة غنيّة، أصول العقيدة بركنيها الأساسيّين؛ وهما: التّوحيد والنّبوّة، فقد تحدّثت عن صفات الله سبحانه، ثمّ تحدّثت عن النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وخصاله ومعاناته في سبيل نشر دين الإسلام، كما تحدّثت عن الإمامة ودورها في انتظام الأمّة.

١٢. تحدّثت السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام في الخطبة الشّريفة بنحوٍ مستفيض عن أسرار التّشريعات الإسلاميّة وحكمها وخصائصها.

١٣. دخلت في قضيّة إرثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستحقاقها فدك، وناقشت المسألة مناقشة علميّة تفسيريّة بكلّ حجج القرآن ودقائقه وأسراره، ولم تناقشها مناقشة عاطفيّة، وإنّما دخلت في الاحتجاج بالطّريقة المميّزة على أنّها امرأة عالمة واعية قويّة في الحجج وصلبة في المواقف.

١٤. تضمّنت الخطبة الشّريفة بين طيّاتها مباحثَ إسلاميّةً وحياتيّة متنوّعة مهمّة كان الأثر القرآنيّ واضحًا.

١٥. سيبقى موقف السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام درسًا يعلِّم الأجيال الاستبسال في الدّفاع عن الحقّ والوقوف بوجه الظّلم وعدم الرّكون إلى القهر والاستبداد.

أخيرًا.. لا يدّعي الباحث أنّه استوفى كلّ جوانب الخطبة الشّريفة للسّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام، وإنّما حاول بكلّ وسعه غير مدّخر لجهده في ما اختاره من نصوص من الخطبة الشّريفة، آملًا في أنْ يُقدّم للمكتبة الإسلاميّة والشّباب المسلم والطّالب الجامعيّ بحثًا يُقرِّب فيه معانيَ الخطبة الشّريفة، سائلًا من الله القبول ولعباده النّفع. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١- ظهرت دراسات عدّة تتقصّى أثر القرآن ألكريم في النّصوص الأدبيّة قديمًا وحديثًا. ينظر على سبيل المثال: الاقتباس من القرآن ألكريم، أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: د. ابتسام مرهون الصّفار، بغداد، دار ألحرية،١٩٧٥م أثر القرآن ألكريم في الأدب العربيّ في القرن الأول الهجري، د. ابتسام مرهون الصّفار، بغداد، مطبعة أليرموك، ١٩٧٤م، أثر القرآن في الشّعر العربي الحديث، د. شلتاغ عبود شرّاد، دار المعرفة، دمشق، ١٩٨٧م، اقتباس شعراء صدر الإسلام من القرآن ألكريم، د. سامي مكّيّ العانيّ، مجلّة آداب المستنصريّة ،العدد (٢٠-٢١)،١٩٩١م. ظ: إصدارات وزارة الشّؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السّعودية، في فصل له: ١٦/ ٢٢.

٢- ظ: النّصوص الأدبية بين السّرقة والاقتباس، غانم محمود، ص١٣.

٣- ظ: بحار الأنوار، ٤٣/ ١٤٨.

٤- ظ: الاحتجاج، الطّبرسي ابو منصور (من اعلام القرن السّادس)، ١/ ١٤٧ ـ ٤٩.

٥- ظ: شرح نهج البلاغة، أبن أبي الحديد، ١٦/ ٢١١ـ٢٤٩.

٦- ظ: كتاب النّهاية في غريب الحديث والأثر، باب له: ٤/ ٢٧٣.

٧- ظ: اصدارات وزارة الشّؤون الإسلامية والاوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السّعودية، في فصل له: ١٦/ ٢٢.

٨- حياة الزّهراء بعد أبيها الرّسول، العلامة فضل علي القزويني، ص١٢١.

٩- سورة فاطر، الآية: ٢٨.

١٠- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشّيرازي، ١٤/ ٥٨.

١١- الكافي، الكليني (ت٣٢٩هـ)، ٨/ ١٦ .

١٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشّيرازي، ١٤/ ٥٨.

١٣- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطّباطبائي، ١٧/ ٣٧.

١٤- معالم التنزيل في التفسير بالتأويل، البغوي (ت٥١٠هـ) ابو محمد الحسن الفراء، ٤/ ٣٠٨

.

١٥- مقالات ودراسات، المركز الإسلامي للدراسات، ص١٠٦.

١٦- سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

١٧- التفاعل النّصّي مع القرآن الكريم في خطبة السّيدة الزّهراء ع، د. محمد قاسم لعيبي، ص٦٢.

١٨ - جمع رُؤَفاءُ : صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من رؤُفَ بـ : عطوف حنون .

١٩ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطّباطبائي، ٩/ ٣٦٣.

٢٠ - بحار الأنوار، المجلسيّ(ت١١١١هـ) محمد باقر، ٣٩/ ٥٦.

٢١ - العبودية سرّ الخلق شرح خطبة الزّهراء عليها السلام، عبد الحسين دستغيب، ص٥٠٥.

٢٢ - الإيحاء والتّصوير في خطبة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام – دراسة في البنى الأسلوبيّة –، د. جنان محمّد مهديّ، ٢/ ٢٣٠.

٢٣ - بحار الأنوار، المجلسيّ، ٣١/ ٦٢٠.

٢٤ - تفسير المنار، ١١/ ٨٢ .

٢٥ - للتّوسعة ظ: سلسلة آباء النّبيّ، أحمد الواحدي، دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، ط٣، ١٩٩١م.

٢٦ - تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، ١١/ ٨٢ ، وقريب من هذا المعنى ظ: مفاتيح الغيب، الرّازي (ت٦٠٤هـ)، فخر الدين، ١٦/ ١٨٧.

٢٧ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشّيرازي، ٦/ ١٩٥.

٢٨ – الميزان في تفسير القرآن، ٩/ ٣٦٢.

٢٩ – سورة المائدة، الآية: ٦٤.

٣٠ – معالم التنزيل في التفسير والتأويل، البغوي، ٤/ ٢٦١.

٣١ – سورة الاحزاب، الآية: ١٠ – ١١.

٣٢ – السّنن الكبرى، البيهقي (ت٤٥٨هـ) احمد بن الحسين، ٩/ ٣٢.

٣٣ – سورة الاحزاب، الآية: ١٣.

٣٤ – نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار الذخائر، قم، ١٤١٢هـ، ٢/ ١٦٦.

٣٥ – الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشّيرازي، ٤/ ٥٤.

٣٦ – سورة التوبة، الآية: ٤٩.

٣٧ – سورة الكهف، الآية: ١٠٣ – ١٠٤.

٣٨ – شرح الخطبة الكبرى للصديقة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام، المجلسي، ص٣١.

٣٩ – تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطّاهر، ١٠/ ١١٣ .

٤٠ – نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١/ ٩٩.

٤١ – سورة التوبة، الآية: ٤٩.

٤٢ – ظ: أسباب النّزول، الواحدي التيسابوري (ت٤٦٨هـ)، ص١٢٩، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٠/ ١١٥.

٤٣ – فقه الإمام جعفر الصّادق عليه السلام، محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠هـ)، ٤/ ١٥٧، ظ: المعتبر، المحقق الحلي (٦٧٦هـ)، ٢/ ٥١٥.

٤٤ – ادعى الخليفة الأول ابو بكر ان النّبي صلى الله عليه وآله قال: (لا نورث ما تركنا فهو صدقة). صحيح مسلم، مسلم النّيسابوري (ت٢٦١هـ)، ٥/ ١٥٢، وغيره..

٤٥ – سورة الاحزاب، الآية ٣٦.

٤٦ – الميزان في تفسير القرآن، ١٦/ ٢٧٥.

٤٧ – سورة الكهف، الآية: ٥٠.

٤٨ – سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

٤٩ – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣/ ٣١٢.

٥٠ – سورة المائدة، الآية: ٥٠.

٥١ – الزّهراء ع خير نساء العالمين، ناصر مكارم الشّيرازي، ص١٢٢.

٥٢ – سورة المائدة، الآية: ٤٤.

٥٣ – سورة المائدة، الآية: ٤٥.

٥٤ – سورة المائدة، الآية: ٤٧.

٥٥ – التفسير الحديث ترتيب السّور حسب النّزول، محمد عزّة دروزة (ت١٩٨٤م)، ٩/ ١٥١.

٥٦ – سورة مريم، الآية: ٢٧.

٥٧ – سورة النّمل، الآية: ١٦.

٥٨ – سورة مريم، الآية: ٥ – ٦.

٥٩ – سورة الانفال، الآية: ٧٥.

٦٠ – سورة النّساء، الآية: ١١.

٦١ – سورة البقرة، الآية: ٨٠.

٦٢ – سورة الانعام، الآية: ٦٧.

٦٣ – سورة هود، الآية: ٣٩.

٦٤ – الزّهراء ع خير نساء العالمين، ناصر مكارم الشّيرازي، ص١٢٢.

٦٥ – ظ: كتاب الأم، الشّافعي (ت٢٠٤هـ)، ٤/ ١٠٦، الشّرح الكبير، ابن قدامة (ت٦٨٢هـ)، ٦/ ٢٠٣، كشاف القناع، البهوتي (ت١٠٥١هـ)، ٤/ ٣٠٧...

٦٦ – سيدة النّساء فاطمة الزّهراء عليها السلام، علي موسى الكعبي، ص١٧٨.

٦٧ – ظ: مفاتيح الغيب، ٢١/ ١٥٦. وقد اجهد نفسه الرّازي في إيجاد مخرج لحديث الخليفة الأول.

٦٨ – ظ: الكشاف، ٣/ ٣٥٨. عند تفسيره لآية ١٦ من سورة النّمل.

٦٩ – ظ: جامع البيان عن تأويل القرآن، ١٦/ ٥٧ .

٧٠ – ظ: انوار التنزيل وأسرار التأويل، ٣/ ٢٧٤ .

٧١ – الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ٣٧٠ .

٧٢ – مفاتيح الغيب، ٢١/ ١٥٧ .

٧٣ – السّيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام – دراسة تاريخية – ، إنتصار عدنان عبد الواحد العواد، ص٨٨٠ .

٧٤ – سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

٧٥ – الزّهراء عليها السلام خير نساء العالمين، ناصر مكارم الشّيرازي، ص١٢٨.

٧٦ – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٤/ ١٣٧.

٧٧ – سورة التوبة، الآية: ١٣.

٧٨ – تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٠/ ٤٠.

٧٩ – سورة ابراهيم، الآية: ٨.

٨٠ – التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، ٥/ ٢٢١.

٨١ – سورة الهمزة، الآية: ٦ – ٧.

٨٢ – الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطّباطبائي، ٢٠/ ٣٥٤.

٨٣ – سورة الشّعراء، الآية: ٢٢٧.

٨٤ – التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٥/ ٥٠٠.

٨٥ – سورة هود، الآية: ٢٢١.

٨٦ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشّيرازي، ٧/ ٧٦.

٨٧ – التوزيع: التقسيم، والقِسط الحصة والنّصيب.

٨٨ – سورة يوسف، الآية: ١٨.

٨٩ – المصدر نفسه.

٩٠ – إدناء الجفون، وأغضى على الشّئ أي سكت ورضى به.

٩١ – سورة محمد، الآية: ٢٤.

٩٢ – سورة المطففين، الآية: ١٤.

٩٣ – اخذ العوض والرّضا به، والمعنى ساء ما أخذتم منه عوضًا عما تركتم .

٩٤ – الكافي، الكليني، ١/ ١٢.

٩٥ – المصدر نفسه.

٩٦ – سورة محمد، الآية: ١٦.

٩٧ – سورة الاعراف، الآية: ١٤٦.

٩٨ – سورة غافر، الآية: ٧٨.

٩٩ – التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٦/ ٤٥٦.

١٠٠ – سورة البقرة، الآية: ٧.

١٠١– ظ: أصول الدين في خطبتي الزّهراء عليها السلام – الإمامة أنموذجًا –، د. محمد كاظم الفتلاوي، ص٩.

١٠٢– ظ: معالم تربوية أخلاقية في فكر السّيدة الزّهراء عليها السلام – مقاربة قرآنية تفسيرية –، د. محمد كاظم الفتلاوي، ص٧٥.

١٠٣ – سورة التوبة، الآية: ١.

١٠٤ – بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٨٢/ ٥٣، المستدرك، النّيسابوري، ٢/ ٢٣٠. هناك آراء أخرى اخترنا منها ما يناسب المقام، يقول العلامة محمد حسين الطّباطبائي: (وقد اختلفوا في كونها سورة مستقلة – التوبة – أو جزء من سورة الأنفال، واختلاف المفسرين في ذلك ينتهي إلى اختلاف الصّحابة ثم التابعين فيه، وقد اختلف في ذلك الحديث عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، غير أنَّ الأرجح بحسب الصّناعة ما يدلّ من حديثهم على أنَّها ملحقة بسورة الأنفال)، الميزان في تفسير القرآن، ٩/ ١٤٦.

١٠٥ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٥/ ٥١٩.

١٠٦ – خطبة الزّهراء عليها السلام سيدة النّساء – قراءة حديثة وحوار جديد –، د. مهدي صالح سلطان، ص٤٣.

١٠٧ – سورة النّحل، الآية: ١٢٠ – ١٢١.

١٠٨ – في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٢٠١.

١٠٩ – سورة الاسراء، الآية: ٣.

١١٠ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشّيرازي، ٨/ ٢٩٥.

١١١ – سورة ابراهيم، الآية: ٣٤.

١١٢ – تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢/ ٢٥٩.

١١٣ – سورة النّساء، الآية: ٤٧.

١١٤ – سورة ابراهيم، الآية: ٧.

١١٥ – سورة الاسراء، الآية: ١١١.

١١٦ – سورة الانعام، الآية: ١٦٣.

١١٧ – سورة البينة، الآية: ٥.

١١٨ – سورة غافر، الآية: ٦٥.

١١٩ – شرح الخطبة الكبرى للصديقة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام، ص١٨.

١٢٠ – الزّهراء خير نساء العالمين، ص١٠٠.

١٢١ – سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

١٢٢ – الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطّباطبائي، ١٥/ ٦٣.

١٢٣ – سورة ص، الآية: ٢٦.

١٢٤ – التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، ٢/ ٣١٣.

١٢٥ – سورة النّمل، الآية: ٨٨.

١٢٦ – سورة الرّعد، الآية: ١٦.

١٢٧ – الكافي، الكليني، ١/ ١٣٥.

١٢٨ – سورة الذاريات، الآية: ٥٦ – ٥٧.

١٢٩ – سورة الملك، الآية: ٢.

١٣٠ – سورة التحريم، الآية: ٨.

١٣١ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي، ١٨/ ٤٥٧.

١٣٢ – سورة هود، الآية: ١٥ – ١٦.

١٣٣ – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/ ١٤.

١٣٤ – تقول: حشت الصّيد أحوشته، إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة، ولعل التعبير بذلك لنفور النّاس بطباعهم عما يوجب دخول الجنة.

١٣٥ – بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢٩/ ٢٢١.

١٣٦ – سورة النّبأ، الآية: ٢١ – ٣٠.

١٣٧ – سورة النّبأ، الآية: ٣١ – ٣٦.

١٣٨ – سورة الاسراء، الآية: ١.

١٣٩ – تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، ١٤/ ١٩.

١٤٠ – سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

١٤١ – ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، الشّيخ الطّبرسي، ٢/ ٢٢٨.

١٤٢ – جبله: أي خلقه، ظ: الزّبيدي، القاموس المحيط – جبل –، ٣/ ٣٥٦.

١٤٣ – انتجب فلانا واستنجبه: إذا استخلصه واصطفاه اختيارًا على غيره. ظ: لسان العرب – نجب –، ابن منظور، ١/ ٧٤٨.

١٤٤ – بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢٩/ ٢٢١.

١٤٥ – سورة الصّف، الآية: ٦.

١٤٦ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي، ١٨/ ٢٩٠.

١٤٧ – ظ: السّيرة النّبوية على ضوء القرآن والسّنة، محمد أبو شُهبة (١٤٢٧)، ١/ ٢٤٨.

١٤٨ – سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

١٤٩ – الخصال، الشّيخ الصّدوق، ص٤٨١.

١٥٠ – الخصائص المحمدية في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية –، د. محمد كاظم الفتلاوي، ص٢٩.

١٥١ – النّقد القرآنيّ للانحراف العقلي والعقدي، د. محمد كاظم الفتلاوي، ص١٤٤.

١٥٢ – سورة المائدة، الآية: ٧٧.

١٥٣ – ظ: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ٣/ ١٠٦.

١٥٤ – بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢٩/ ٢٢١.

١٥٥ – سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

١٥٦ – تفسير القمي، القمي، ١/ ١٠٨ .

١٥٧ – بحار الأنوار، المجلسي، ٣٣/ ٣٧٦ .

١٥٨ – سورة الانفال، الآية: ٤٦ .

١٥٩ – الخصال، الصّدوق، ص٥٤٨.

١٦٠ – سورة الرّعد، الآية: ١١ .

١٦١ – بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢٩/ ٢٢١.

١٦٢ – الزّهراء خير نساء العالمين، ناصر مكارم الشّيرازي، ص١٠٤.

١٦٣ – سورة النّحل، الآية: ٥٨-٥٩.

١٦٤ – سورة التكوير، الآية: ٨-٩.

١٦٥ – سورة الزّمر، الآية: ٦٤.

١٦٦ – سورة الفتح، الآية: ٢٦.

١٦٧ – سورة الاحزاب، الآية: ٣٢.

١٦٨ – ظ: تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان، السّعدي، ص٧٢٨.

١٦٩ – العلم في المفهوم القرآنيّ، د. محمد كاظم الفتلاوي، ص٦١.

١٧٠ – سورة الغاشية، الآية: ١٧-٢٢.

١٧١ – الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية –، د. محمد كاظم الفتلاوي، ص٢٢.

١٧٢ – سورة النّحل، الآية: ٤٤.

١٧٣ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي، ٨/ ١٩٩.

١٧٤ – ظ: مناهج المفسرين – دراسة في النّظرية والتطبيق –، د. محمد كاظم الفتلاوي، ص٥٦.

١٧٥ – شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٩/ ١٣٧.

١٧٦ – شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٦/ ٣٠٩.

١٧٧ – بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢٩/ ٢٢٢.

١٧٨ – سورة الحجر، الآية: ٩٧.

١٧٩ – التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ٥/ ٣٢١.

١٨٠ – بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٦٣/ ٣٢٠.

١٨١ – بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢٢/ ٥٣٣.

١٨٢ – سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

١٨٣ – مجمع البيان في تفسير القرآن، ٦/ ٢٨٤.

١٨٤ – سورة الانشراح، الآية: ٢.

١٨٥ – الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطّباطبائي، ٢٠/ ٣١٥.

قائمة المصادر:

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم

١. الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، أسباب النّزول، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

٢. د. محمّد كاظم الفتلاوي، أصول الدين في خطبتي الزّهراء عليها السلام – الإمامة أنموذجًا –، مجلّة العقيدة، العتبة العباسية المقدسة، السّنة ٤، ٢٠١٧م، العدد ١٤.

٣. د. محمد كاظم الفتلاوي، الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية –، مطبعة الثقلين، النّجف الاشرف، ٢٠١٥م.

٤. ناصر مكارم الشّيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٥. البيضاوي، انوار التنزيل وأسرار التأويل، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٩٠م.

٦. د. جنان محمّد مهدي، الايحاء والتصوير في خطبة السّيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام – دراسة في البنى الأسلوبيّة –، مجلّة الكلّيّة الإسلاميّة الجامعة، النّجف الأشرف، السّنة ٧، ٢٠١٣م، العدد ٢٠.

٧. المجلسيّ (ت١١١١هـ) محمّد باقر، الأنوار، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٨. د. محمّد قاسم لعيبي، التّفاعل النّصّيّ مع القرآن الكريم في خطبة السّيّدة الزّهراء (عليها السلام)، مجلّة الكلّيّة الإسلاميّة الجامعة/ النّجف الأشرف، السّنة ٧، ٢٠١٣م، العدد ٢٠.

٩. ابن عاشور محمّد الطّاهر، تفسير التّحرير والتّنوير، مؤسّسة التّأريخ العربيّ، بيروت، (دت).

١٠. محمّد عزّة دروزة (ت١٩٨٤م)، التفسير الحديث ترتيب السّور حسب النّزول، دار الغرب الإسلاميّ، ط٢، ٢٠٠٠م.

١١. محمّد رشيد رضا، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، (دت).

١٢. محمّد جواد مغنية، التّفسير الكاشف، منشورات الرّضا، بيروت، ٢٠١٣م.

١٣. د. محمد سيد طنطاوي، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ١٩٩٨م.

١٤. د. صبري حافظ، التناص وإشارات العمل الأدبي، مجلة البلاغة المقارنة، ١٩٩٤م، العدد ٤.

١٥. السّعدي عبد الرّحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٦. الطّبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (دت).

١٧. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. مجدي محمد سرور، دار البيان العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٨. د. محمد كاظم الفتلاوي، الخصائص المحمدية في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية –، مجلة دراسات إسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، السّنة ٦، ٢٠١٥م، العدد ١٢.

١٩. د. مهدي صالح سلطان، خطبة الزّهراء (عليها السلام) سيّدة النّساء –قراءة حديثة وحوار جديد–، قسم الشّؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة،، ٢٠١٥م.

٢٠. ناصر مكارم الشّيرازي، الزّهراء عليها السلام خير نساء العالمين، مكتبة الكوثر، بغداد، ٢٠١٣م.

٢١. البيهقي (ت٤٥٨هـ) احمد بن الحسين، السّنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، (دت).

٢٢. علي موسى الكعبي، سيّدة النّساء فاطمة الزّهراء (عليها السلام)، مركز الرّسالة، قم، ١٤٢٠هـ.

٢٣. إنتصار عدنان عبد الواحد العوّاد، السّيّدة فاطمة الزّهراء -دراسة تأريخيّة-، مؤسّسة البديل للطّباعة والنّشر، بيروت، ٢٠٠٩م.

٢٤. محمّد أبو شُهبة (١٤٢٧هـ)،السّيرة النّبويّة على ضوء القرآن والسّنّة، دار القلم، دمشق، ط٨.

٢٥. اسعد السّيد كاظم القاضي، شرح الخطبة الكبرى للصديقة الكبرى فاطمة الزّهراء (عليها السلام)، المجلسي، دار باقيات، قم، ٢٠١٢م.

٢٦. ابن قدامة (ت٦٨٢هـ)، الشّرح الكبير، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٧. أبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الاضواء، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.

٢٨. مسلم النّيسابوري(ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، (دت).

٢٩. عبد الحسين دستغيب، العبودية سر الخلق شرح خطبة الزّهراء عليها السلام، دار البلاغة، بيروت، ٢٠١٤م.

٣٠. د. محمد كاظم الفتلاوي، العلم في المفهوم القرآنيّ، مجلة القادسية، كلية التربية، جامعة القادسية، المجلد ٩، العددان ٣-٤، ٢٠١٠م.

٣١. محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠هـ)، فقه الإمام جعفر الصّادق عليه السلام، مؤسسة انصاريان، قم، ١٤٢١هـ، ط٢.

٣٢. الكافي، الكليني (ت٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٢ هـ ش.

٣٣. الشّافعي (ت٢٠٤هـ)، كتاب الأم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٤. ابن الاثير، كتاب النّهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطّناحي، النّاشر المكتبة الإسلامية.

٣٥. البهوتي (ت١٠٥١هـ)، كشاف القناع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٦. الزّمخشري، الكشاف، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

٣٧. الشّيخ الطّبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة دار المجتبى، النّجف الاشرف، ٢٠٠٩م.

٣٨. البغوي (ت٥١٠هـ) ابو محمد الحسن الفراء، معالم التنزيل في التفسير بالتأويل، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.

٣٩. المحقّق الحلّيّ (٦٧٦هـ)، المعتبر، مؤسسة سيد الشّهداء، قم، (دت).

٤٠. د. محمد كاظم الفتلاوي، معالم تربوية أخلاقية في فكر السّيدة الزّهراء (عليها السلام) -مقاربة قرآنية تفسيرية-، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، المؤتمر العلمي السّنوي الرّابع والعشرون، ١٣-١٤/ ٥/ ٢٠٢٤م.

٤١. الرّازي(ت٦٠٤هـ) فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

٤٢. محمد حسين الطّباطبائي، مقالات ودراسات، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ٢٠٠٣م.

٤٣. د. محمد كاظم الفتلاوي، مناهج المفسرين -دراسة في النّظرية والتطبيق-، دار رافد للطباعة، بغداد، ٢٠١٧م.

٤٤. محمد حسين الطّباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.

٤٥. غانم محمود، النّصوص الأدبية بين السّرقة والاقتباس، مجلة آفاق، العدد ٣،آذار، السّنة الثامنة عشر، بغداد.

٤٦. د. محمد كاظم الفتلاوي، النّقد القرآنيّ للانحراف العقلي والعقدي، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، السّنة ١١، ٢٠١٧م، العدد ٢١.

٤٧. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار الذخائر، قم، ١٤١٢هـ.